

خالد بن الولید

الفریق طہ باشا الہاشمی

كتاب الشعب

خالد بن الوليد

الفريق طه باشا الهاشمي

كتاب الشهر

السلسلة الاسلامية

محمد عليه السلام	بقلم الاستاذ فتحي رضوان	صدر
على الجزء الاول	« الاستاذ محمد صبيح	«
على الجزء الثاني	« « «	«
معاويه بن ابي سفيان	« « «	«
خالد بن الوليد	« الفريق طه باشا الهاشمي	«
عمرو بن العاص	« الاستاذ محمد صبيح يصدر اول سبتمبر سنة ١٩٣٨	
صلاح الدين الايوبي	بقلم الدكتور مصطفى الوكيل يصدر اول اكتوبر سنة ١٩٣٨	

تصدر كتب الشهر

دار الثقافة العامة

شارع الشيخ عبدالله رقم ١٨ بالقاهرة

ت ٤٢٢٩١

المراسلات باسم الاستاذ محمد صبيح مدير الدار

سيف الله المسلول

خطب رسول الله الناس بعد غزوة مؤتة . وأعلمهم بقتل زيد ، وجعفر ، وابن رواحة وقال :

« .. ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه »

وقال خالد :

« لقد اندق يومئذ في يدى سبعة أسياف فما ثبت في يدى إلا صفيحة (أى سيف) يمانية »

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

- ١ -

هذا كتاب خالد ، نقدمه إلى القراء بقلم غير الاقلام التى تعود قراؤنا أن يطالعوا لها في سلاسل كتب الشهر ، وعلى نهج من التأليف غير النهج الذي ساروا معنا في طريقه منذ عام ونصف عام ، وجمعوا من حديقته إلى الآن عشر ثمرات . لست أدعى انها ناضجة كل النضوج ، ولكنى أؤكد أن بستانيها اختار لها أجود الارض ، وأغلى البذر ، وانسب الوقت ، وتعهدها بحرص يدرك اجمالا ، ولا سبيل إلي ذكره تفصيلا . فاذا حدث أن لمح أحد قصورا ، أو تقصيرا ، فانما هي اعراض الجو ، واحداث السماء المفاجئة ، التي يتعذر الاحتياط لها فى أول نزولها ، والتي يمكن اذا نفدت الثمرة ، وأتى موسم ثمر جديد ، أن يتأهب لها بما في قدرة العلم ، وفي طوق الجهد .

وثمرة اليوم — خالد بن الوليد — نبتت فى أرض العراق

وتوفر عليها رجل من أعلام ذلك البلد الامين القوى الطموح.
رجل عسكرى الفطرة ، دقيق النظرة ، ناضج الفكرة . له من ماضيه في الميادين التي خاضها ، ومن حاضره فى حياة البناء لجيش العراق الحديث التي عاشها ما يسمح له بأن يكون في مقدمة رجال العربية فقها بماضينا الحربي ، وحرصنا على امجاد مجاهدينا القدماء ، الذين خطوا حدود امبراطورية محمد عليه السلام بدمائهم لم يضنوا بها ، وبأرواحهم بذلوها رخيصة . وكان على رأسهم ساسة حكماء ، وقادة افذاذ تمكنوا بأيسر عدد القتال ، وعدد الرجال ، من أن يعيدوا الاسلام على رقعة الجزيرة وقد ازالت ظله ونفوذه موجة من الهلك والشرك فى اعقاب حياة النبى عليه السلام .

تولي أبو بكر خلافة المسلمين فوجد أمامه طريقا طويلا مملوءا بالشوك والحسك ، مسدودا بالصخر والجلمد ، عليه أن يقطعه . فما افدحه من ميراث تلقاه الصديق من نبيه وما اقواها من عزيمة هي التى يسرت له الصعاب وذللت أمامه المشاق .

لم يكتف العرب بأن ينفضوا عنهم ثوب الاسلام ، بل تجمع منهم عدد غير قليل ، يريد ان يقضي على البقية الباقية

منه في المدينة ، وعسكروا في ظاهرها يتحينون الفرصة . فما أن سار جيش اسامة ، وهو كل عدة ابي بكر الحربية تقريبا الى الشمال تنفيذا لوصية النبي ، حتى سمت عيون القبائل تستطلع ماتبقى لابي بكر من قوة ، ثم شرعت في هجومها .

ولكن الخليفة كان يقيم الحراس ، ويستعد للطوارىء فقاوم هذا الهجوم حتى رده ، ثم سار على رأس قوة تطارد هؤلاء القوم ، فشتت جموعهم ، وانتصر عليهم . انتصر ابو بكر ، وهو الذى تولي القيادة فى حياته مرة واحدة امام حصن خيبر فلم يوفق . فما باله اليوم . ؟ ألا انه حرج الموقف ، والشعور بالمسئولية الجسيمة قبل الله وقبل نبيه ، وقبل هذا الاسلام الذى ولي أمره . هذا الشعور خلق من ابى بكر التاجر القديم ، والرجل الوادع الرفيق قائدا يعرف كيف يشتد في حملته ، وينتزع نصرا ، كان فاتحة الطريق امام الجيوش التى سارت من بعد تؤدب العرب ، وتردهم الي الجادة المثلى ، والعروة الوثقى ، التى تركوها مختارين . .

ولقد نصح ابو بكر بأن يقبع في داره ، ويخلي العرب فيماهم فيه ، فلا قبل للمدينة بهم ، وكان على رأس الناصحين عمر بن الخطاب ، فأبى . واراد الا أن ينشر حكم الاسلام من جديد ، وكان بين امرين : إما أن تهزم جيوشه والهزيمة الاولي تقود الي الثانية ، فيترتب علي هذا أن يكر الكافرون علي المدينة ، فلا يبقى في الوجود اسلام ولا مسلمون واما ان ينتصروا ، فيرتفع لواء «لا إله الا الله ، محمد رسول الله » مرة اخرى

وارادة الظفر والانتصار تستدعي الاستعداد لها بكل اسلوب . وليس أهم ، في هذه المعارك الفاصلة في تاريخ البشرية ، معارك الحياة والموت، الوجود او الفناء .. ليس اهم من اختيار القائد شيء وقد وفق ابو بكر. ووفقه الله ويسر له اختيار خالد بن الوليد .

يقول الاستاذ عمر أبو النصر في كتاب له عن خالد ابن الوليد :

« لقد كان شرف قريش قبل الاسلام لبنى عبد مناف وكان شرف بنى مخزوم الى المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، حتى آثر بعض ذريته اسم المغيري على اسم المخزومى ، وكان هشام بن المغيرة يسمي رب مكة ، ولما مات أرخت قريش بموته ، وكان ابنه أبو جهل زعيما من زعماء قريش ، والوليد ابن المغيرة أخو هشام أكبر رجل من مكة وكان يلقب (الوحيد) وريحانة قريش . ولما كلم زعماء قريش أبا طالب في أمر رسول الله عرضوا عليه أن يأخذ عمارة بن الوليد ويسلم اليهم محمدا وراحوا يقولون له :

- يا أبا طالب . هذا عمارة بن الوليد انهد فتى في قريش وأجملهم . فخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولدا . فهل لك !

واشتد التنافس قبل الاسلام بين بنى عبد مناف ، واليهم

يرجم بنو هشام ، وبين بني مخزوم ، واتصلت هذه المنافسة حتى ظهر الاسلام ، فغضب بنو مخزوم ان يذهب هؤلاء بالنبوة فراحوا يحاربون رسول الله ويؤلبون العرب عليه وقال أبو جهل سيد قريش في ذلك :

« تنازعنا نحن وبنو مناف الشرف ، اطعموا فاطعمنا ، وحملوا فحملنا واعطوا فأعطينا حتى اذا تحازينا على الركب ، وكنا كفرسي رهان ، قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه ؟ »

وكان للوليد بن المغيرة عشرة بنين اوثلاثة عشر ، اسلم منهم ثلاثة فقط ، عمارة وهشام وخالد . وام خالدلبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية ، وهي اخت ميمونة ام المؤمنين، وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم واخت لبابة الكبرى زوج العباس ، وحسب ام خالد انها ولدت خالدا . وهو بطل الاسلام وسيف من سيوف الله جل جلاله .

ويكاد يجمع المؤرخون على ان خالداً ولد حول سنة خمس وعشرين قبل الهجرة ، او اثنتى عشرة قبل البعثة الاسلامية ».

ومن العسير حقيقة تعيين الوقت الذى ولد فيه خالد ، أو الذي ولد فيه أي كبير من رجال العرب الاقدمين ، وانما يمكن من خلال الروايات الكثيرة ، ومن استقراء الحوادث تعيين سنى الميلاد والوفاة على وجه التقريب ، لا على وجه التحديد .

يذكر صاحب أسد الغابة في سيرة خالد :

« كان أحد أشراف قريش في الجاهلية وكان اليه القبة وأعنة الخيل فى الجاهلية . أما القبة فكانوا يضربونها . يجمعون فيها مايجهز به الجيش . وأما الاعنة ، فانه كان يكون المقدم على خيول قريش فى الحرب »

كان خالد في جاهليته فتى يافعا ، له مكانة بين قومه ، وقيادة في ميادين الصدام . وما كان يعقل أن يكون له كل هذا وهو غلام دون الحلم ، فأيسر مايقدر به عمره هو أنه جاوز في جاهليته سن العشرين.

وأول ما نعرف من انباء خالد قبل اسلامه مشاركته قريشا في حرب أحد . فقد قدمت قوات مكة تنتقم من هزيمة بدر ، وكان خالد علي الميمنة . وكان عكرمة بن أبي جهل على

الميسرة ، ورفع اللواء إلي عبد العزى طلحة ابن أبي طلحة .

ودارت رحي الحرب ،والنصر يقترب من المسلمين وشيكا . وكان يحمي ظهرهم نفر من الرماة ، أمرهم النبي ألا يغادروا مكانهم ، فلما رؤوا انهزام قريش غادروا أما كنهم ليشاركوا في جمع الاسلاب والغنائم . وكان خالد يقظا ، فما أن رأى ظهر المسلمين كشف حتى دار بفرسانه ، وكان قائد الفرسان ، إلى أن وصل مكان الرماة ، فلم يجد منهم غير نفر دون العشرة ، ما اسرع ما أجلاهم ، وأخذ مكانهم وعلا خالد الجبل، وصاح بقريش،وكانت فلولها تتراجع،صيحة عالية ، فلتفتوا نحوه ، فاذا هو سيد المعركة ، فأداروا وجوههم للمسلمين وأعملوا فيهم سيوفهم وحرابهم ونبالهم . ووقع الفزع في قلوب المسلمين من هذه الكرة المفاجئة ، حتى لقد روي أن بعض المسلمين كانوا يضربون بسيوفهم المسلمين.

واجتمع نفر قليل من المسلمين حول النبي عليه السلام، يحمونه ويقونه بجسومهم من النبل ، وأراد خالد أن ينتهز غفلة ويكر مرة اخرى من الوراء على هذه الحزمة المستميتة

في الدفاع عن نبيها ، إلا أن عمر بن الخطاب كان منتبها له ، فاندفع نحوه مع نفر من الجند ، وردوه عن الجبل .

واكتفت قريش بما اصابت من نصر ، وخصوصا بعدان شاع بينها أن محمدا من بين القتلى ، فعادت وخلت من بقي من المسلمين وبين الفرار .

ونسمع عن خالد مرة ثانية عند الحديبية . فقد أراد النبي أن يذهب إلى مكة في العام السادس للهجرة لاداء مناسكه غير راغب فى حرب او صدام « وساق معه الهدي سبعين بدنة ؛ حتى انتهى إلى عسفان وهناك لقيه بشر بن سفيان قال ؛ يارسول الله ، هذه قريش قد سمعوا بمسيرك ، فخرجوا بالعوذ والمطافيل . . ولبسوا جلود النمور ، يعاهدون الله ألا تدخل عليهم مكة عنوة أبدا . . وهذا خالد بن الوليد في خيل قريش ».. وكان ماقال حقا فقد خرج خالد على رأس مئتى فارس، غير المشاة وكان قائدهم عكرمة ابن ابي جهل. فلما سمع النبى بخروجهم قال:

- ياويح قريش ! لقد أهلكتهم الحرب . ماذا عليهم لوخلوا بينى وبين سائر العرب . فان هم اصابوني ، كان ذلك

الذى ارادوا، وان أظهر نبي الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين . وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة . فما تظن قريش ا فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله او تنفرد هذه السالفة (١) »

وقد مضى النبي في الحديبية اياما هداداء تأهب فيها للحرب بعد أن بلغه أن رسوله عثمان بن عفان إلى قريش قتل بيدهم غيلة . وقد حدثت في هذا الظرف بيعة الرضوان، التي تعاهد فيها المسلمون مرة اخرى على القتال حتى آخر رمق

- ٤ -

قال الدكتور هيكل باشا في كتابه «محمد»

كانت ام الفضل زوج العباس بن عبد المطلب عم النبي موكلة من اختها ميمونة في تزويجها . وكانت ميمونة في السادسة والعشرين من عمرها وكانت خالة خالد بن الوليد وأقامت ام الفضل زوجها العباس مقامها فى تزويج اختها .

---

(١) السالفة صفحة العنق . يريد : حتى الموت .

ولما رأت ميمونة مارأت من أمر المسلمين في عمرة القضاء هدت الي الاسلام نفسها ! فخاطب العباس بن أخيه في أمرها وعرض عليه أن يتزوجها . وقبل محمد وأخذ منها أربعمائة درهم . وكانت ثلاثة الايام التى نص عهد الحديبية عليها قد انقضت . ولكن محمدا أراد أن يتخذ من زواجه ميمونة وسيلة لزيادة في التفاهم بينه وبين قريش . فلما جاءه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى من قبل قريش يقولون لمحمد « أنه قد انقضى أجلك فاخرج عنا » قال لا وما عليكم لو تركتموني فاعرست بين أظهركم وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه» قال محمد ذلك . وهو يعلم ماتركت عمرة القضاء في أنفس أهل مكة من اثر وكيف سحرتهم وسكنت من خصومتهم ، ويعلم انهم لو قبلوا دعوته الى الطعام فتحدث اليهم وتحدثوا اليه فتحت مكة أمامه أبوابها طائعة . وهذا ماخشى سهيل وحويطب ، لذلك كان جوابهما « لاحاجة بنا الي طعامك فاخرج عنا » ولم يتردد محمد في النزول على رأيهما تنفيذا لعهده مع قومهما ، فأذن فى المسلمين بالرحيل ، وخرج والمسلمون من ورائه ، وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة حتي

أتاه بها بسرف فبنى بها . وميمونة ام المؤمنين آخر أزواج النبي . وعمرت بعده خمسين سنة ، ثم طلبت أن تدفن حيث بني بها رسول الله . وحمل محمد معه اختي ميمونة سلمى أرملة عمه حمزة . وعمارة البكر التي لم تتزوج .

وبلغ المسلمون المدينة وأقاموا بها ، ومحمد لا يشك في عظم ما تركت عمرة القضاء من أثر في نفوس قريش وفي نفوس أهل مكة جميعا ، ولا يشك فيما سينشأ عنها من آثار سريعة خطيرة .

وصدقت الايام تقديره . فانه ما كاد يتحمل راجعا الى المدينة حتى وقف خالد بن الوليد فارس قريش المعلم وبطل أحد يقول في جمع منها « لقد استبان لكل ذى عقل ان محمدا ليس بساحر ولا شاعر ، وان كلامه من كلام رب العالمين . فحق على كل ذى لب ان يتبعه » وقد فزع عكرمة بن ابى جهل لما سمع ، فرد قائلا : لقد صبؤت ياخالد ودار بينهما الحديث الآتى :

خالد — لم اصبوء ولكنى اسلمت

عكرمة — والله أن كان أحداحق قريش الا يتكلم بهذا الكلام لأنت

خالد — ولم ؟ !

عكرمة — لان محمدا وضع شرف ابيك حين جرح ، وقتل عمك وابن عمك ببدر فوالله ما كنت لاسلم ولا لاتكلم بكلامك ياخالد . اما رأيت قريشا يريدون قتاله ! !

خالد — هذا أمر الجاهلية وحميتها . لكني والله اسلمت حين تبين لى الحق .

وبعث خالد الى النبي بافراس وبعث اليه باقراره بالاسلام وعرفانه . وبلغ أسلام خالد ابا سفيان ، فبعث في طلبه وسأله الحق عما بلغه عنه ولما اجابه خالد انه حق ، غضب وقال : « واللات والعزى لو أعلم ان الذى تقول حق لبدأت بك قبل محمد » قال خالد : « فوالله انه لحق علي رغم من رغم » فاندفع ابو سفيان في غضبه نحوه ، فحجزه عن عكرمة وكان حاضرا وقال . « مهلا يا ابا سفيان . فوالله لقد خفت للذي خفت ان أقول مثل ماقال خالد واكون على دينه . انتم

تقتلون خالدا على رأي رآه وهذه قريش كلها تبايعت عليه !! والله لقد خفت الا يحول الحول حتى يتبعه أهل مكة كلهم . » وخرج خالد من مكة الي المدينة ، فانضم الى صفوف المسلمين .

واسلم من بعد خالد عمرو بن العاص، وحارس الكعبة ابن طلحة . وقد أسلم باسلام هؤلاء كثير من أهل مكة واتبعوا دين الحق . وبذلك قويت شوكة الاسلام وأصبح فتح مكة أبوابها لمحمد أمرا لا محل لريبة فيه . »

ويظهر مما سبق ان هيكل باشا اجاز القول بأن خالدا أسلم بعد الحديبية مباشرة . ولكن هناك خلاف كثير بين الرواة في وقت اسلامه وهجرته . ونحن نسوق هذه الروايات فى ايجاز شديد لكي يتبين القارىء لونا من ألوان الحيرة التي تلم بالمنقب في تاريخ الاسلام وهو يحاول أن يصل إلى رأي قاطع في أمر من الامور .

قالوا : هاجر خالد بعد الحديبية ، وقبل خيبر . وكانت الحديبية في ذي القعدة سنة ست . وخيبر بعدها في المحرم

سنة سبع . وقيل بل كان اسلامه سنة خمس بعد فراغ رسول الله من بنى قريظة . وقيل بل كان اسلامه سنة ثمان . وأوغل بعض الرواة في الشطط فزعم ان خالدا كان على خيل الرسول يوم الحديبية ، على أن هناك شبه اجماع على انه كان قائد خيل المشركين .

ـ ٥ ـ

بعد صلح الحديبية ، أراد الرسول أن يوجه جهاده شطر الشمال حيث توجد بلاد الشام ، ويستقر سلطان قيصر . فحشد جيشا من ثلاثة آلاف مقاتل ، وأمرهم أن يغيروا على هذه الاطراف الشمالية ، وعلم شرحبيل والى هرقل على الشام بأمر هذه الغارة فحشد جندا كثيفا من الروم ومن العرب قيل كان عدده مئة ألف وقيل كان مئتي ألف . وتولى قيادة هذا الجيش المدافع تيودور أخو هرقل . وهناك عند مؤتة التقى الجمعان . جمع المسلمين في قلة عددهم وقوة ايمانهم وجمع الروم ومن والاهم من العرب في كثرة عدد ، ووفرة سلاحهم

رفع زيد بن حارثة راية الرسول ، واندفع والمسلمون من وراثه فتناوشته الرماح من كل جانب ، ومزقته حتى ما تبين معالم شلو من اشلائه . وقبل ان تسقط الراية منه تناولها جعفر بن ابي طالب ، وقاتل في الطليعة ، فتكأكأ الاعداء حول فرسه يريدون أن ينالوه وهو فوقها ، فوثب الى الارض وعقرها بسيفه ، واقتحم الجحفل راجلا ، لا يكاد يقترب منه مخلوق حتى يهد بناءه هدا .

وكان يحارب بيساره واللواء مرفوع بيمينه ، فجاءته ضربة في هذه اليمين بترتها ، فالقت يساره السيف وتناولت اللواء ، فجاءته ضربة بترت الشمال . فانكب بعضديه يرفع راية نبيه ورسوله حتى خارت قواه فسقط ميتا ، واسرع ابن رواحة ، وكانت له القيادة بعد سابقيه ، فتناول اللواء وأخذ يجالد عنه ، ويصيح باعوانه حتى تكاثرت عليه جموع الاعداء ونالته رماحهم ، فسقط بدوره .

ولم يكن الرسول قد اشار بقيادة أحد غير هؤلاء الثلاثة على التوالي ، فتشاور الجيش سريعا ، فيمن يلي الامر ، بعد

الامراء الذين صرعوا ، وهتف كل مدير باسم فكان هذا الاسم : « خالد »

تناول خالد اللواء ، وعمل أول ما عمل على اعادة القوة المعنوية الى نفوس الجيش ، بأن جمع وحداتهم المشتتة واعاد تعبئتها على نحو جديد ، يصونها في هذا الظرف العصيب .

وكان الليل قد أرخى سدوله ، ونامت عيون المتعبين ، وحدقت عيون الحراس فى وجل مما يبيتها لها هذا الظلام الدامس .

وكانت عين خالد ساهرة ، ورأسه يعمل ويعمل . وقبل الفجر بقليل ، ايقظ معسكره في رفق ، وأمر عددا من رجاله أن ينسحبوا وراء الصفوف في خط طويل يمتدما امكنه الامتداد . ووزع عليهم ابواقا ، وادوات حرب تحدث ضجيجا عاليا وأمرهم اذا كان الصبح ان يقرعوا طبولهم ، وان ينفخوا ابواقهم ، وان يسوقوا خيلهم في شبه دوائر ضيقة ولكن في سرعة عاصفة تثير الغبار الكثيف ، وأن يطلقوا من حناجرهم اصواتا عالية ، هى هذه التى تسمع اذا كان الظفر وشيك البلوغ ..

وأحرقت الشمس، واقبل الروم ، يستعدون لوثبة جريئة تقضى على هذا العناد الغريب الذى يقاتلهم به المسلمون ، والذي ينال منهم كل منال . وقبل ان يخطوا خطوة لاحظوا في صفوف المسلمين وحركات سريعة ، والفتات غريبة ، ثم انطلقت هذه الاصوات العالية وصهلت الخيل ، وثار الغبار حتي حجب قرص الشمس ، فوقعت في قلوبهم الرجفة ، وتأكدوا ان مددا عظيما اقبل على جيش خالد ، فتراجعوا ، وتحصنوا في اماكنهم وتأهبوا لرد هجوم عنيف من هذه القوي المتجدده الكثيفة ولكن الهجوم لم يبدأ ، وما ان جاء الليل وهم في الانتظار حتى لاحظوا أن المسلمين يغيرون اماكنهم ، وينسحبون إلي اماكن مجهولة، فتراجعوا بدورهم ، وبذا كان ما بين جيش خالد ، وجيش الروم أبعد من أن يسمح بقتال جديد ان ينشب . وبذا امن المسلمون ان هم هموا بالعودة ان يكر عليهم الروم . فساروا إلي المدينة آمنين . .

وتلقي أهل المدينة الجيش العائد في حنق ، واخذ

بعضهم يحثوا على رؤوس الجند التراب ، ويعيرونهم بأنهم فروا من الموت وجبنوا امام العدو . فزجر الرسول هؤلاء العائبين وقال لهم : ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار ان شاء الله .

واراد النبي - على ماروى ابن الاثير في اسد الغابة - ان يمدح مهارة خالد في انقاذ الجيش فقال عنه انه سيف من سيوف الله فتح الله عليه . وروي خالد من انباء القتال ان سبعة اسياف كسرت في يده ولم يثبت معه غير سيف يماني صدقه حتى النهاية .

وهنا يتبادر الى الذهن سؤال وهو : لم لم يول النبي خالد ابن الوليد قيادة الجيش من أول الامر ، فلم تكن مهارة خالد اذ ذاك بخافية ، وخصوصا على الرسول صلى الله عليه وسلم . ولا سبيل للاجابة على هذا السؤال إلا عن طريق الظن فنحن نرجح أن خالدا كان حديث عهد بالاسلام ، إذ لم يمض بين اسلامه ، وبين بدء هذه الغزوة إلا أيسر الوقت . ولم يكن مستساغا أن توكل له امارة جيش حتى يتعمق في فهم الاسلام ، وفي الغوص إلى أقصى أغواره .

زحف جيش الرسول إلى مكة أم القرى - لفتحها ، بعد أن أذن الله بأن تكون من نصيب الاسلام ، وقد قسم النبي جيشه أربعة أقسام ، جعل على رأس القسم الاول خالد بن الوليد ، وكان في الميمنة ، وأمره أن يدخل مكة من أسفلها حيث كان يقيم أشد أهل مكة عداوة للاسلام ، واغلظهم اكبادا ، وليس لهم إلا سيف الله يلقي في قلوبهم الفزع ، ويردهم إلى حكم السيف ، ان اخفق العقل في ارشادهم إلى الطريق السوى .

ودخلت الجيوش الثلاثة مكة دون أن تلقى مقاومة ، إلا جيش خالد . فقد تحرش به زعماء هذا القسم وهم أبناء أبي جهل صفوان ، وسهيل ، وعكرمة . فأنهم لم يرضوا بمشورة أبي سفيان الذى أفتي بتسليم مكة دون قتال ، وحشدوا اتباعهم . فلما أهل عليهم خالد ، تلقوه من بعيد بالنبال . فلم يرع خالد ، ورد على القوة بالقوة ، وحمل على الكفار بجيشه حملة صادقة . زلزلت الارض من تحتهم ،

فتفرقوا في كل وجه ، وقد فقدوا عددا عديدا من رجالهم ولم يفقد خالد غير جنديين ضلا الطريق فوقعا في أيدي الاعداء وعلا الرسول نشزا من الارض فلمح جيش خالد يقاتل ، ويطارد الكفار ! فصاح بهم يأمرهم بأن يكفوا عما هم فيه ، فكفوا.

وبعد الفتح بأيام ، أمر النبي خالدا أن يسير الى نخلة ليهدم العزى ، الصنم الاكبر الذي كانت تعظمه مضر . فهدم خالد الوثن وبيته .

ثم قال يشيع العزى الي مقره الاخير :

يا « عز » كفرانك لا سبحانك

اني رأيت الله قد أهانك ! !.

ثم خطا خالد لحسابه خطوة أخري في سبيل الاسلام فزحف الي جذيمة ، وارسل لهم رسله بأن يسلموا سلاحهم فما أن علموا أن خالدا هو الذى يأمر حتى تصايح القوم بعضهم لبعض :

— ويلكم يابنى جذيمة ! انه خالد . والله مابعد وضع

السلاح الا الاسار . وما بعد الاسار الاضرب الاعناق .

ولكن لم يكن هناك بد من تنفيذ ما أراد خالد .
وكان ينبغي لخالد أن يقنع منهم بهذا ولكنه جمع رؤوسهم وأمر بهم فقتلوا .

ولما علم النبي بما صنع خالد - رجل الحرب الذى لا يلين - رفع يديه الي السماء وقال :

« اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد »

ثم أمر النبي على بن ابى طالب ، أن يذهب الى حيث يقيم هؤلاء القوم ، « وأن يجعل امر الجاهلية تحت قدميه » وأن يفرق عليهم ديات قتلاهم . فصدع علي بالامر ، ودفع لهم الاموال وبقى لديه جانب - ففرقه على القبيلة .

ولما رجع خالد من أرض بنى جذيمة ، انكر عليه عبدالرحمن بن عوف ماحدث منه ، وجري بينهما الكلام فسب خالد عبد الرحمن بن عوف ، ووصل الخبر الى النبى ، فغضب وقال لخالد :

— لاتسبوا اصحابى ، فلو ان احدكم انفق مثل جبل

أحد ذهبا ما أدرك مدحهم ، ولا نصيفه .

وهكذا حمى النبي خالدا من ألسنة الناس حين عاد من مؤتة وحمى النبي المسلمين من لسان خالد حين عاد من بني جذيمة . وذكر هذه الجملة الرائعة التي تدل على تقديره لأصحابه ، وعطفه عليهم ، عطف النبوة الخالد ..

***

وشارك خالد في غزة حنين ، فكان على مقدمة الجيش وجرح في هذه المعركة ، فزاره النبي ليطمئن عليه ، وحباه بعطفه حتى برىء .

***

وأمره رسول الله بأن يسير إلى دومة الجندل ليقر فيها الاسلام ، فلم يقنع خالد إلا بعد أن حمل حاكم دومة الجندل نفسه « أكيدر بن عبد الملك » الي الرسول ، وهو يطمع في أن يأمر بقتله ، ولكن الرسول خيب أمل خالد هذه المرة ، فصالح أكيدر على الجزية ، ورده الى بلده

« * »

وقبيل وفاة النبي ، أي في العام العاشر بعد الهجرة أرسله

إلى الجنوب ، فنزل في نجران ، وجمع رؤساء بنى الحارث ابن كعب ، وساقهم إلى النبى ، فانقذهم من مشورة خالد الدامية ، أن أسلموا ، ورجعوا إلى قومهم موفودين

***

هذا ما كان من أمر خالد قبل اسلامه ، وبعد اسلامه أثناء حياة النبي صلى الله عليه وسلم

والمرحلة التالية من تاريخه هي حروب الردة . وهذه حروبه نقدمها بقلم الهاشمي باشا

والمرحلة الاخيرة ، التي تبدأ من انتهاء حروب الردة ، وتنتهي بوفاته عام ٢١ للهجرة هي التي سنفرد لها باذن الله كتابا خاصا ، نرجو أن تتاح لكاتب حروب الرده القائد المحقق ، فرصة لكي يفصل لنا فن الحرب فيها . برا بوعده الذى قطعه في آخر هذا الكتاب .

ونحن نعتقد ، ان هذا الكتاب بما حوي من دراسة لفن الحرب عميقة مفصلة ، يسد فراغا ضخما في التأليف العربى . فلم يسبق بين القدماء او المحدثين من تناول امجادنا الحربية السالفة على النحو الذى تناوله الهاشمى باشا .

وحسب اللغة العربية ، ان تستفيد من هذا الكتاب طائفة ضخمة من الاصطلاحات الفنية تساق في مواضعها للمرة الاولى باللغة العربية . . وتساق في دقة لا تمدلها دقة .

وما احوجنا نحن امم العربية في شتى اقطارها إلى ان نصبر على صحبه هذا النوع من الكتب وان نطيل النظر فيها . فحياة الجيش واخلاق الجند ، ولغة الحرب ، هي اول وآخر ما ينقصنا اليوم لكي نعيد بناء مجتمعنا الذى هدمته آفات الاستعمار ، وعوامل التسلط الاجنبى التي اسلمتنا إلى كثير من التراخي والتواكل .

إلى الكفاح

إلي السلاح

هذا طابع الجيل الجديد ، وانه لنداء القدر اليوم لمن له سمع

والله اكبر

محمد صبيح

كتاب الشهر القادم

عمرو بن العاص

بقلم

الاستاذ محمد صبيح

يصدر أول سبتمبر سنة ١٩٣٨

كتاب الشهر الاخير

من السلسلة الاسلامية

صلاح الدين الايوبى

بقلم

الدكتور مصطفى الوكيل

يصدر اول اكتوبر سنة ١٩٣٨

صدر من السلسلة الاسلامية حتى الآن

محمد عليه السلام ـ على الجزء الاول ـ على الجزء الثاني

معاوية ـ خالد

ثمن الكتاب قرشان . وثمن السلسلة مع اجر البريد خمسة عشر قرشا .

الدرس الخامس

جدير بالضباط أن يدرسوا حركات خالد بن الوليد في حروب الردة أو في فتح العراق أو فتح سورية . ومن الواضح أنهم سيطلعون على الاسس القويمة التي كان يسير عليها ويرون فيها تنفيذ مبادىء الحرب التي لاتزال مرعية حتى يومنا هذا .

طه باشا الهاشمي

خالد القائد

يعد خالد بن الوليد من أكبر قادة العرب في عهد الفتوح الاولى ، وهو بلا منازع من أفذاذ الرجال الذين حالفهم النصر وأيدهم الظفر في المعامع والحروب بلا استثناء

ولم يذكر قط له التاريخ وقفة خسر فيها المعركة وهو قائدها ، حتى في معركة مؤتة التي وقعت في السنة الثانية للهجرة في شرقي الاردن بين الطفيلة والكرك ، أنقذ خالد المسلمين ببطولته وإقدامه ، برغم تفوق الاعداء الاكيد وموت الذين تولوا القيادة على التعاقب عملا بوصايا الرسول .

وفي غزوة أحد كان خالد يقود خيالة قريش فبقى في الميمنة يشاغل ربيئة المسلمين الموفدة لحماية الميسرة بالهجوم عليها من حين الى آخر ويراقب سير القتال بين المسلمين وقريش الى أن رأى ربيئة المسلمين تركت موضعها وسارعت للاشتراك في الغنيمة . فهجم بخيالته ملتفا وراء المسلمين وقاطعا

عليهم خط الرجعة . فقلب نصر المسلمين الى انكسار انتهى الى انهزام المسلمين وجرح الرسول .

قلنا من الوقائع التي اشترك فيها خالد بن الوليد في عهد اشراكه واسلامه ان تلك الوقائع جميعا انتهت الى النصر المبين . ومما لاشك فيه ان خالدا من أقدر قواد العرب على القيادة . فجدير بالضباط أن يدرسوا حركاته في حروب الردة أو في فتح العراق أو فتح سورية . ومن الواضح أنهم سيطلعون على الاسس القويمة التي كان يسير عليها ويرون فيها تنفيذ مبادىء الحرب التي لاتزال مرعية حتى يومنا هذا ..

ولقد قال خالد قبل وفاته أنه شهد مائة زحف أوزهاءها ومافي بدنه موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة . ولا نبالغ اذا قلنا أنه خرج من تلك الزحوف بأجمعها غالبا منصورا .

١ ـ مصادر البحث

من العسير جدا البحث في أخبار الفتوح الاولى بحثا يمكننا من الاطلاع على الخطط العسكرية والاسباب التي أدت

الى وضعها والنتائج التى أسفرت عنها الحركات . ذلك لان القصاصين أو مدونى السير والمغازى أو مؤرخى الفتوح ليسوا من أبناء الجيل الفاتح ، فقد دونوا الاخبار بالسماع أو نقلا بالاسناد . وقد نراهم غير متفقين في تدوينهم الاخبار على التاريخ والمكان اللذين وقعت فيهما المعركة ، ولا على مقدار القوة التى اشتركت فيها ، ومن المعارك مالم يتفق المؤرخون على زمن وقوعها . والحقيقة ان التاريخ العسكرى يثبت المعارك التى جرت قبل الميلاد بمقدماتها ونتائجها وتفاصيلها وقد يستخرج منها الباحث الاسس الحربية دون عناء

فالمعارك التى نشبت بين الجيش المكدونى بقيادة الاسكندر والجيش الفارسى في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد ثم تدوينها بصورة أقرب الى الصحة من الوقائع التى نحن بصددها .

أما المعارك التى جرت بين الجيوش الرومانية وجيوش الاقوام المهاجرة ، والقتال الذي نشب بين القياصرة والقواد الطالبين بالعرش ، فأخبارها مفصلة في كتب التاريخ الى حد أن الباحث فيها لايرى مشقة في استقصاء الحوادث .

فمعركة (كانية) التي نشبت سنة ٢١٦ قبل الميلاد بين الجيش القرطاجني بقيادة هنبال والجيش الروماني ، كانت ولاتزال مثال ينسج القادة العظام علي منواله تعبئة الجيش في ميدان المعركة ، وهي بلا منازع معركة نموذجية تتوق نفس كل قائد الى تقليدها .

والسبب في تدوين أخبار هذه المعركة تدوينا صحيحا مع أنها نشبت قبل الفتوح العربية بعدة قرون ، هو ان المؤرخين الذين اثبتوا اخبارها إما انهم اشتركوا فيها فعلا وإما انهم قادوها بأنفسهم ، وإما انهم عاشوا في زمن وقوعها فالقائد زينوفون اليوناني الذي قاد العشرة الآلاف من بلاد بابل الى بلاد اليونان راجعا بهم الي بلاده سجل حوادث تلك الرجعة في كتابه (الزحف) (اناباسيس) وهذا الكتاب لايزال مرجع ثقة الباحثين العسكريين . وكذلك سجل يوليوس قيصر أخبار فتوحه في بلاد جرمانية في كتاب (الحروب الغالية)

اما المؤرخون العرب الاولون فلم يدونوا أخبار الغزوات النبوية وحروب الردة والفتوح التي تمت في النصف الاول من

القرن الهجرى إلا بعد انقضاء جيلين على أقل تقدير .

وأول من جمع الوثائق الباحثة في الغزوات والفتوح الاولي عروة بن الزبير المتوفي سنة ٩٤ هجرية. فان عروة جمع تلك الوثائق في عهد الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان أى بعد وفاة الرسول بستين سنة ودونها دون اسناد : ويلي عروة فى التدوين ابن اسحق المتوفي سنة ١٥١ هجرية مقتبسا معلوماته من عروة . أما ابن هشام المؤرخ للسير النبوية فاستقى أخباره من ابن اسحق ، مع أنه توفي بعده بقرن ونصف قرن — أي سنة ٢١٣ هجرية . ويأتي بعده ابن سعد الواقدي الباحث في حروب الرده . وبالمدون للفتوح العربية في العراق وفي سورية وتوفي سنة ٢٣٠ هجرية ، بعد ان عاش ٦٢ سنة. ويليه المؤرخ المشهور الطبرى وهو بلا منازع أول مؤرخ عربي أثبت الاخبار التاريخية بطريقة علمية

وتوفي في سنة ٣١٠ هجرية بعد الفتوح العربية الاولي بقرنين ونصف قرن علي أقل تقدير .

والحقيقة ان كتاب تاريخ الطبري هو العمدة في استقصاء أخبار الفتوح العربية وهو المرجع الاول والاخير

وهكذا يتضح لك ان رواة الفتوح أو مؤرخيها لم يشتركوا في وقائع الفتوح أو انهم لم يعاصروا أولئك الفاتحين، بل انهم دونوا اخبارها سماعا أو نقلا بعد مرور مدة غير يسيرة على الفتوح. وكان لزاما ان تأتي الاخبار ناقصة ومشوشة ومتناقضة، حتى أمسى الباحث فيها لا يهتدي الى استنباط بعض الحقائق إلا بشق النفس. والذي يزيد البحث اشكالا كثرة الرواة الذين استند اليهم المؤرخون في تدوين الاخبار وانت تراهم يسخون برواية غثها ويبخلون بسمينها

وثمة تناقض بين أخبار الرواة المنتمين الى الديوان الحجازي والرواة المنتمين الى الديوان العراقي. وكذلك نجد تناقضا في الروايات التي ينقلها المضري والربيعي واليماني والقيسي، لان كلا من هؤلاء حاول ان ينسب مفخرة الموقعة الى قبيلته وقد يكون غير مشترك.

٢ – دار الحركات

ان الساحة التي جرت فيها الحركات تمتد من سواحل البحر الاحمر في الحجاز وتنتهي في أرض الدهناء التي تفصل

بين مقاطعة الحسا ومقاطعتى العارض والسدير . وهذه الساحة تتناول شمالى الحجاز وجبل شمر وبلاد نجد

والارض التي تتكون منها هذه الساحة صحراوية الوصف على العموم والمياه فيها قليلة والغابات لا أثر لها فيها، وتتخللها واحات نبتت فيها اشجار النخيل وبعض اشجار الفاكهة وقد تكونت في المنخفضات التى تنصرف اليها مياة الامطار بسهوله حيث تكثر الآبار الضحلة ، وتقطع الوديان هذه الساحة ، وتكاد تبدأ جميعا من هضبة نجد المرتفعة فتجري في جهات مختلفة ، ويصب بعضها في البحر الاحمر والبعض الآخر في خليج فارس أو في جهة الربع الخالي . والوديان يابسة على العموم وهي ضيقة ووعرة عند اجتيازها المناطق الجبلية وعريضة سهلة عند مرورها بالبادية .

وينبت في بعض انحائها شجر الاثل والشوك والطلح وغير ذلك من الاشجار التى تتحمل العطش . وعندما تنزل الامطار تجرى اليها المياة من كل جانب فتغطي الوديان سيول المياة الجارفة الجارية بسرعة وتصب إما في البحر وإما في الانفدة الرملية ؛

والجبال في المنطقة التي جرت فيها الحركات قليلة ؛ وهي لا تتعدى سلسلة طويق في نجد تمتد من الشمال الي الجنوب في جبلين متوزاين ويشرف الجبل الغربي على رمال الدهناء الواقعة بين خليج فارس ونجد . والسلسلة جرداء، لا نبت ولا ماء . وفي القسم الجنوبي من منطقة العارض يفصل وادي حنيفة هذين الجبلين أحدهما عن الآخر ، فيجري أولا من الشمال الي الجنوب بعد أن تصب فيه عدة شعب من الشرق والغرب ، وفي جنوبي الرياض يغير مجراه الى الجنوب الشرقي فيصب في رمال الاحقاف .

وما عدا سلسلة طويق نجد سلسلتين أخريتين في منطقة جبل شمر وهما جبل أجا وجبل سلمى وهما موازيان يفصل احدهما عن الآخر وادي الفسن . ويمتد كلا الجبلين من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي . وجبل أجا باتصاله بالجبال المنفردة الواقعة في جنوب غربية يكون سلسلة طويلة تمتد الى حرة خيبر في الحجاز .

والسلسلتان حجريتان ارتفاعها من ٥٠٠ الي ٨٠٠ متر والجبال المتفرقه التى تتشعب من هاتين السلسلتين تحيط بها

الكثبان الرملية والبادية الواقعة بين الحجاز وسلسلة طويق متكونة من هضبة مرتفعة يتفاوت ارتفاعها من ١٠٠٠ متر الى ١٥٠٠ متر . ويكتنفها بعض الروابي الحجرية المنفردة . وهذه الهضبة تنفصل عن هضبة جبل سمر بوادي الرمة الذى يبدأ من حرة خيبر ، ويجري من الغرب الى الشرق ، وبعد أن يسقى بآبار منطقة القصيم الغنية يغير جهته الى الشمال الشرقي الى أن يصب في أرض السواد بجوار البصرة .

والوادى هنا أخطر الوديان الواقعة في دار الحركات وهو يفتح خطوط الحركات بين الحجاز ونجد وعندما تقطع الوديان وشعابها السلاسل الجبلية تكون العقبات المضائق والمنعطفات التى تنساب فيها الطرق

والساحة مملوءة بالأنفدة الرملية ، والكثير منها يتجه من الشمال الى الجنوب أو من الشمال الغربى الي الجنوب الشرقى ، لذلك تعترض الوديان الطرق الممتدة من الغرب الى الشرق .

ومن جملة العوارض التى تتصف بها دار الحركات

الحرات ، وهى الاراضى البركانية التى تكتنفها الحجارة الخامدة . وهذه الحرات واقعة الى شرقي الحجاز وأخطرها حرة خيبر الواقعة في شمال المدينة مسافة بضع مراحل .

والبقاع الآهلة بالسكان في هذه الساحة هى الواحات في بطن الوديان أو في الارض المنخفضة التى انصرفت الى بطنها مياه الامطار وأخطرها واحة المدينة في وسط وادي الحمض ثم واحة بريدة وعنيزة في وسط وادى الرمة . وواحات العارض الممتدة على طوار وادى جنيفة ثم واحات السدير وواحة خيبر وواحات جبل شمر

وتمتد الطرق في الوديان للاستفادة من المياه المتراكمة فيها في زمن الامطار من الآبار المحفورة على طوارها . وهذه الطرق تبدأ من المدينة ومنها ما يتجه شمالا ، فبعدان يمر بخيبر يمتد الي وسط جبل شمر سالكا السفوح الجنوبية لسلسلة اجأ ، ومنها ما يتجه نحو الشمال الشرقى الى أن يهبط الى وادى الرمة فيسلكه حتى يصل الى واحات نجد الغنية . ولا سبيل الي السير على خارج الطرق لوعورة الارض وندرة الماء فيها .

اسباب الحروب

مات رسول الله والاسلام لم يتمكن من قلوب جميع العرب الساكنين في الجزيرة . وادعى بعض الرؤساء النبوة في آخر ايام الرسول ، وارتد الكثير من العرب بعد وفاته .

والثابت ان الذين تمكن الاسلام من قلوبهم ولم يتزعزع ايمانهم هم المهاجرون والانصار وقريش وثقيف والقبائل الساكنة بين المسجدين « المدينة ومكة » على ما يذكره الطبري .

ولم يكن تأثير الردة فى القبائل على نمط واحد ، بل كان الاثر يختلف باختلاف العوامل ، وهى تتلخص فيما يلى :—

« ا » قرب المنطقة التي تسكنها القبيلة من المدينة أو بعدها .

« ب » علاقة القبيلة بالمدينة .

«ج» قرب عهد القبيلة بالاسلام أو بعده.

ولقد ناقش المستشرق الطلياني لئونه كاتياني هذه العوامل في كتابه (تاريخ الاسلام) فصنف العرب حيث علاقتهم بحروب الرده الي خمسة اصناف، فوضع في الصنف الاول القبائل التى أسلمت منذ مدة طويلة وخضعت لسلطة المدينة خضوعا تاما وهى القبائل التى تسكن بالقرب من المدينة ومكة وفيما بينهما كجهينة ومزينة وبلى وأشجع وأسلم وهذيل وخزاعة وغيرها.

ووضع في الصنف الثانى القبائل التي تعاقدت مع الرسول واشتركت في المدة الاخيرة في حروبه، وقد كان فيها على اسلامها أقلية مختلفة تنتهز الفرص للتملص من سلطة المدينة ومن هذه القبائل هوزان وعامر بن صعصعة وطيء وسليم وجثعم.

ووضع في الصنف الثالث القبائل الساكنة على حدود المملكة الاسلامية، فخضعت هذه القبائل سياسيا لسلطة المدينة ودفعت الصدقات الي الرسول، وفيها اكثرية تتحين الفرص للرجوع الى حالتها القديمة، ومن اخطر هذه

القبائل بنو أسد وبنو غطفان وبنو تميم الساكنون في مناطق نجد الغنية .

ووضع في الصنف الرابع القبائل التى لم تخضع لسلطة المدينة بل اكتفت بارسال الوفود الى الرسول وتظاهرت بالخضوع له فيها أقلية مسلمة ضئيلة تستند الي قوة المسلمين في المدينة للاحتفاظ بمنزلتها . ومن أخطر هذه القبائل بنو حنيفة وعبد القيس وأزدعمان وأكثر قبائل حضرموت واليمن . وأوفد الرسول إليها عمالا ليمثلوا الاسلام وليعلموا المسلمين أمور الدين ،

أما القبائل التي وضعها في الصنف الخامس فهي القبائل التى لم تسلم وكانت نصرانيـة او مشركة . وهي القبائل الساكنة في الشمال كبنى كلب وبنى تغلب وبنى غسان وقضاعة وتنوخ وبنى بكر وبعض القبائل في حضرموت واليمن .

ولكنى لاأجارى المؤرخ الطلياني في تصنيفه هـذا بل من الثابت ان تأثير الاسلام في القبائل العربيـة كان يختلف باختلاف العوامل التى ذكرناها قبلا . والواقع ان الرسول

لم يمت إلا وقد ظهرت حركة الردة في القبائل فمنها من طلب اعفاءه من اعطاء الزكاة ، ومنها من امتنع من اعطائها ، ومنها من قدم رجلا وآخر أخرى في ذلك فأمسك عن الصدقة وأخيرا منها من أرتد وطرد عمال الرسول أو قتل المسلمين ومثل بهم .

وكان الرسول في حياته قد حرض عماله في اليمن على مقاتلة الاسود العنسي الذي ادعي النبوة واستولي على اكثر مقاطعات اليمن .

أما أبو بكر فرد الوفود التي أتت الي المدينة وطلبت منه ان يعفيها من إعطاء الزكاة وقال كلمته المشهورة «والله لو منعوني عقال بعير لقاتلهم عليه » ولما وردت الكتب من امراء الرسول تنبأ أبو بكر بأن الناس ارتدوا عامة وخاصة وأنهم تبسطوا بالتمثيل فحاربهم

٤ ـ قوات الفريقين

١ ـ أهل الردة : اذا استقصينا الاخبار التي رواها الرواة توصلنا الي النتائج التالية :

أ(ولا) لم ترتد القبائل الساكنة الي شرق مكة وغربيها وجنوبيها ، بل ظلت علي الحيـاد غير ميالة الى أحد الفريقين وهى قبائل كنـانة وأزد وبجيلة وجثعم وعك وأشعر وحكم وغيرها .

(ثانيا) تأثر بحوادث الردة القبائل الساكنة الى شمال شرقي مكة كهوزان وعامر بن صعصعة وحذيلة ، أما بنو سليم فقد ارتد الـكثير منهم ، بيد أن هذه القبائل جميعا لم تشهر سلاحها في وجه المسلمين

(ثالثا) أما قبائل طى فانها لم تقرر الى أى جانب تميل ومع ذلك فان قسما قليلا منها انضم الي جيش طلحة الاسدى مدة قصيرة

(رابعا) وأما قبائل قضاعة الساكنة الى شمال المدينة فانها شهرت سلاحها علي المسلمين

ومع ذلك لا يصح أن يقال ان هذه القبائل جميعا ساعدت أهل الردة الذين ثاروا في وسط الجزيرة ، بل ان بعضها ظل في منطقته إما على الحياد وإما مترددا لا يحرك ساكنا ، وإما أنه طرد العمال الموفدين من المدينة في عهد الرسول

لذلك لايجوز اعتبار هذه القبائل من القبائل الساكنة في وسط الجزيرة التي حشدت رجالها وأغارت على ضواحي المدينة أو أنها تأهبت لمنازلة جيش المسلمين

أما القبائل التي اشتركت في حروب الردة فعلا فاليك بيانها .

١ - بنو فزارة وبنو غطفان الساكنون الى شرقي المدينة وطلبوا من أبي بكر أن يعفيهم من الزكاة : ولما لم يجب طلبهم رجعوا فجمعوا رجالهم وتأهبوا لمباغتة المدينة

٢ - بنو أسد الساكنون على منتصف الطريق التي بين الحجاز ونجد الى جنوبي جبل شمر ويزعم الرواة أن طليحة بن خويلد الاسدى ادعى النبوة في حياة الرسول وجمع رجاله في السميراء .

ولما توفى الرسول وامتنعت القبائل من إيتاء الزكاة سعى الي جمع القبائل حوله واقترح عينية بن حصن الفزارى ترك المنازعات بين بني اسد وبنى غطفان وعقد حلف بين بني فزارة وبنى غطفان وبنى اسد .

لبي بنو فزارة هذه الدعوة واتحدوا مع بنى اسد . وكذلك

البعض من بطون طيء أيضا انضم الي طليحة حتى ان رئيس جديلة بن طيء ، ثمامة بن أوس ، جمع خمسمائة رجل وانضم الى بنى اسد .

٣ - بنو تميم الساكنون فى نجد في منطقة القصيم :

وتتألف هذه القبيلة من عدة بطون . ولما بلغها نعى الرسول امتنع أكثر بطونها عن أداة الزكاة وكان الاختلاف قد دب فيها بينها ، ولما ظهرت سجاح من شمال الجزيرة بجموعها من تغلب مدعية النبوة ، ودخلت حتى بنى تميم لانها كانت تمت اليهم بنسب التف حولها بعض من تميم وعلى رأسه مالك بن نويرة . ويزعم الراوي سيف بن عمر انها كلفت مالكا بالمسير معها نحو المدينة للهجوم على أبى بكر . وكان البعض من بطون بنى تميم لم يرتد فالتجأ اليه المسلمون الهاربون من البطون الاخرى . فقاتل سجاحا ومن معها من بنى تميم ومنعها من التقدم نحو المدينة . والرواة يزعمون أنه انتصر عليها وعلى حلفائها من بنى تميم وألجأها الي مغادرة ديار بنى تميم والذهاب الى مسيلمة الكذاب

٤ - بنو حنيفة الساكنون في اليمامة . ادعى رئيس هذه

القبيلة مسيلمة النبوة فآمن بنبوته جميع بنى حنيفة . ويظهر ان دعوة الاسلام لم تنتشر فيها وكان معظمها مشركا . فلما ادعى مسيلمة بالنبوة آمن بنبوته . وهي ولا ريب من أخطر القبائل التي اشتركت في حروب الردة وقاتلت المسلمين قتالا عنيفا وذاق المسلمون الامرين في حروبها . ويزعم الراوي سيف بن عمر أن جيش بنى حنيفة المحارب بلغ الاربعين الفا

ومن العسير معرفة قوات هذه القبائل التي اشتركت في المعارك ، والواضح ان قبائل غطفان وفزارة التي حاولت مباغتة المدينة حتي اضطر ابوبكر الى مقاتلتها كانت دون القبائل شأنا ولعل القوات التى جهزتها لم تزد على ألفي رجل .

أما القوة التى استطاع طليحة ان يجهزها ويقاتل بها جيش المسلمين فكانت تربو على اربعة آلاف مقاتل وانضم خمسمائة رجل من قبيلة طيء وسبعمائة فارس بقيادة رئيس بنى فزاره عينة بن حصن

اما بنو تميم فلو اتفقت بطونها وقابلت جيوش المسلمين لبلغت قوتها زهاء عشرة آلاف مقاتل ، غير انها لم تتفق

فيما بينها بل حارب بعضها بعضا ولما وصل خالد بن الوليد بجيشه الي ديار بني تميم كانت البطون قد تفرقت .

اما بنو حنيفة فكان جيشهم من أقوي الجيوش التى حاربت المسلمين ومع ان سيفا يزعم ان قوتهم بلغت اربعين ألفا بيد اننا لا نميل الى اعتقاد صحة روايته ولعل قوة جيش بنى حنيفة لم تزد عن خمسة عشر الف مقاتل .

والذي جعل الرواة يبالغون في تقدير جيش بنى حنيفة هو وعورة المنطقه التي حارب فيها المسلمون والحقيقة ان ارض اليمامة ارض وعرة فيها وديان وشعاب وجبال وعقبات وثنايا والذى زاد في مناعة الارض القري المحصنة بالاسوار والحدائق الموسورة بالاحجار المكدسة شأن الكثير من قرى العارض والسدير في بلاد نجد

(ب) المسلمون :

جهز الرسول جيش اسامة قبل وفاته بمدة قليلة وكان يقصد ايفاده الى الشمال واجتمع في الجرف في شمالي المدينة ولما علم بمرض الرسول أجل حركته

وبعد وفاته أوفده ابو بكر لينفذ الخطه التي رسمها له الرسول في حياته ونصح بعض الصحابة ابا بكر ان يبقيه لكي يعتز به الاسلام واراد بعضهم تبديل قائده بيد ان الخليفة لم يجب طلبهم ولم يرض أن يبدل ما قرره الرسول وليس لدينا معلومات موثوق بها عن قوة هذا الجيش لان المؤرخين القدماء جريا على عادتهم بحثوا في قائده والاوامر الصادرة اليه والغاية المتوخاة من ايفادة وغير ذلك ولم يذكروا مقدار قوته .

واذا تأملنا في سبب ايفاده ظهر لنا ان قوته يجب ان تكون كافية وسبق ان جهز الرسول جيشين لهذه الغاية ذاتها وهما :

جيش جعفر بن أبي طالب الذى قاتل الروم فى البلقاء في وقعة موتة وكانت قوته ثلاث آلاف مقاتل ، والجيش الذى قاده الرسول بنفسه ليغزو به تبوك وقد بالغ المؤرخون في قوته وزعموا أنه بلغ ثلاثين ألفا

أما جيش أسامه فهو الجيش الثالث ونعتقد ان قوته يجب الا تقل عن خمسة آلاف

وكان المهاجرون والانصار نواة هذا الجيش فالمهاجرون والانصار عماد الجيش الاسلامى وهم كالحرس الذى كان يؤلفه الملوك للاعتزاز به في تنفيذ خططهم اصلاحية كانت أم حربية

واشترك هؤلاء فى غزوات الرسول وحروبه من أولها الي آخرها وكانوا يؤثرون النبي على أنفسهم فى جميع أعمالهم فكان الاسلام متمكنا من قلوبهم ولا غرو اذا رأينا الاسلام يقوم على سواعدهم بعد وفاة الرسول ولعل عددهم كان يتفاوت بين الالف والخمسمائة وبين الالفين لما توفى النبى

وكان أكثرهم فى جيش أسامه ماعدا البعض منهم فانه بقي في المدينة مع أبو بكر أو أوفد في حياة الرسول عاملا او معلما أو مبشرا الي الاقطار العربية النائية أو جابيا أو معلما الي القبائل العربية القريبة

ويلى المهاجرين والانصار قريش التي أسلمت بعد فتح مكة وأبلت بلاء حسنا في الاسلام بعد ذلك . أجل انها لبت الدعوة أخيرا وقسرا الا انها اقتنعت ان عز الاسلام من عزها فناصرت الرسول في حياته من أعماق قلبها حتى ان

الرسول بعد فتح مكة رضى ان يظل البعض من قريش مشركا حتي يفتح الله قلبه . ومع ذلك لم يحجم هذا البعض عن الجهاد معه في غزوة صفين أو فى محاصرة الطائف ولعل القوة التي كانت قريش تستطيع ان تجهزها للقتال زادت على ألفي مقاتل على أقل تقدير ويلي قريشا القبائل الساكنة بين الحرمين مكة والمدينة وهى التى ناصرت الرسول في دعوته وقد اشترك بعضها فى الغزوات وجاهدت أخيرا في حروب الرسول فقربت هذه الحروب بينها و بين المهاجرين والانصار وربطتها برباط متين

فلا مندوحة اذن من ان نرى أبا بكر يدعوها الي الجهاد لما كان جيش اسامة بعيدا عن المدينة فلبت دعوته راغبة مطيعة وهذه القبائل هى : أسلم وغفار والمزينة وأشجع وجهينة وكعب وغيرها

ولعل القوة المحاربة فى هذه القبائل لم تزد على ثلاثة آلاف وتليها قبيلة بنى ثقيف الساكنة بين مكة والطائف وهي خير من أسلم من قبائل الحجاز واشتهرت بشدة مراسها وصلابة عودها وكانت تعتز بعاصمتها الطائف المسوره ولم

مرتد ثقيف على ماسبق ذكره بل بقيت متمسكة بالاسلام وكانت قوتها المحاربة تقدر بأكثر من ألفي مقاتل

هذه خلاصة القوات التي كان الخليفة يعتمد عليها فى محاربته أهل الرده وقد ظهر لك انها كانت تبلغ عشر آلاف متى تيسر جمعها والواضح ان جيش أسامة بن زيد كان مؤلفا من معظم المهاجرين والانصار وبعض رجال القبائل وذلك لما كان أسامة بعيدا عن المدينة اذ أخذت القبائل المرتدة الواقعة الي شرقي المدينة تهددها .

ولعل من الفائدة ان نذكر بهذا الصددمقدار القوات التي استطاع الرسول ان يجمعها فى حروبه

كانت قوة المسلمين في غزوة بدر لاتزيد على ثلثمائة رجل أما فى غزوة أحد فكانت زهاء الالاف ، وفى غزوة الخندق بلغت ثلاثة آلاف

أما فى فتح مكة اذ ظهرت سطوة الاسلام وقويت شوكة المسلمين فكان جيش المسلمين عشرة آلاف نواته المهاجرون والانصار وقوامه رجال القبائل الضاربة الى شرقي المدينة وشماليها وجنوبيها .

ويزعم الرواة ان جيش الرسول بلغ ثلاثين ألفا في غزوة تبوك كان عشرون ألفا منه رجالا وعشرة آلاف فرسانا . أجل ان الموقف العسكري كان ملائما لمبادرة رجال القبائل الى الالتفاف حول راية الاسلام للهجوم على بلاد الشام وهي المشهورة بخيراتها وذلك يجعل جيش المسلمين يصل الى حده الاقصى ، إلا اننا لا نظن انه بلغ القوة التي ذكرها الرواة ولعلها بلغت أكثر من خمسة عشر الفا .

ولما امتنعت القبائل العربية عن أداء الزكاة وأرتد البعض منها لم يكن في وسع الخليفة ان يجمع كل القوات التى يستطيع ان يعتمد عليها على ماسبق بيانه . لان جيش أسامة كان في الشمال وفيه نخبة الجنود المجاهدين . أما قريش وثقيف فكانتا بعيدتين عن دار الحركات لذلك دعا أبو بكر القبائل الضاربة بين المدينة ومكة اولا ، ولما رجع جيش أسامة استنجد به . ثم أخذ رجال قريش وبعض ثقيف ينضمون الى الحملات

ومن الثابت ان قوة المسلمين كانت جد ضعيفة لما تأهب

بنو غطفان وفزازة للهجوم على المدينة ، ولعلها لم تجاوز بضع مئات .

٥ ـ اسلوب القتال :

من الخطأ القول بأن ليس للعرب اسلوب في القتال قبل الاسلام . فان من تتبع اخبارهم في الجاهلية اتضح له ان للقوم مبادىء يسيرون عليها في قتالهم وكانت هذه المبادىء ملائمة لاستعمال سلاحهم ومنطبقة على البيئة التي يقاتلون فيها .

أجل ، ان العرب لم تقاتل بالجموع التى كان يقاتل بها الفرس او الروم الذين كانت جيوشهم كبيرة قد تربو على المائة ألف في بعض المعارك . وجيش بهذه القوه يحتاج الى تنظيم لسوقه قبل المعركة وتعبئته فيها . فجيش اؤلئك الاعاجم كان ينقسم الى راجلين وفرسان والى طاعنين وضاربين ورماة . وكانت الفيلة عند الفرس والعجلات الحربية عند الروم تقوم مقام الاسلحة الثقيلة كالدبابات والمدافع الضخمة فى يومنا هذا :

فنظام القتال عند اليونان كان مستندا الى (الفيلق) (الفلانكس) وهو وحدة تعبيرية يبلغ متوسط قوتها (٤٠٠٠) مقاتل ، يصطف الجنود فيها على ستة عشر صفا طول كل صف (٢٥٦) مقاتل والجنود في (الفيلق) (الفلانكس) من المشاة مسلحون بالرمح والسيف والحربة والمغفر والدرع والترس ويتكون من (الفيلق) القلب ويقف في الخط الثاني الذى يسبقه الخط الاول المؤلف من الرماة ويليه الخط الثالث وتقف الخيالة في الميمنة والميسرة لحماية الاجانب.

ويتألف الجيش عادة من أربعة (فيالق) (فلانكسات) متي تيسرت القوة فيه . فتقف (الفيالق) جنبا الى جنب وبينها فاصلات صغيرة تتراوح بين عشرين أو اربعين خطوة ،

وكان هذا النظام لا يصلح للقتال الا في الأرض السهلة المنبسطة والمقدرة على الحركة فيه قليلة ولا يستطيع تغيير الجبهة متى اقتضي الموقف ذلك، فضلا عن أنه معرض للخسارة اذا أصيب برمى السهام.

اما نظام القتال عند الرومان فكان مستندا الى (اللجيون)

وهذا ينقسم الي الكراديس ومجموعها عادة عشرة . وكانت الكراديس سابقا تعبأ على خطين كل خمسة منها في نسق وبينها فاصلة جهة كردوس ، على ان تقف كراديس الخط الثاني وراء فاصلات الخط الاول

ثم تطور هذا النظام في عهد يوليوس قيصر ، فكان اللجيون يقف علي ثلاثة خطوط : في الخط الاول اربعة كراديس ، وفي كل من الخطين الباقيين ثلاثه وتبلغ قوة كل كردوس ألف مقاتل .

وتؤلف الكراديس القلب ، ويقف امامه الرماة الذين يرمون العدو بسهامهم او بحرابهم قبل الاصطدام ثم ينسحبون الي المجنبات اما الخياله فتحمي المجنبتين .

وكان نظام الكراديس يفوق نظام (الفيلق) (الفلانكس) في المقدرة على القتال والحركة والسير بسهولة وكان في استطاعة الكراديس ان ينجد بعضها بعضا

والجانب في اللجيون قوى بخلاف جانب (الفيلق) (الفلانكس) لان كراديس الجانب متى غيرت ناصيتها استطاعت ان تقابل العدو الملتف حولها .

وسار الروم أو البيزنطيون في قتالهم على نظام الكراديس فاخبار الفتوح الاولي تدل على انهم كانوا يعبئون قواتهم كراديس ويحمون مجنبتهم بالميمنة والميسرة . وكانت قوة الجيش تختلف باختلاف عدد الجيونات وتقف على خط واحد . فاما ان تؤلف القلب فتؤلف الخيالة وحدها الميمنة واما ان تؤلف القلب والميسرة والميمنة وتكون الخيالة على الجانبين .

واذا كان عدد اللجيونات كثيرا يحتوى القلب عادة علي اكثرها . وقد زادت قوة الخيالة على ما كانت عليه في زمن الرومان ذلك لان الاقوام المتوحشة التى هاجرت من آسيا ودخلت اوربا باغتت رومية بجيوشها الخيالة الكبيرة . ولما توطنت هذه الاقوام فى أوربا واندمجت في المقاطعات الرومانية وجهزت الجنود لجيوش رومية زاد عدد الخيالة فيها وأصبح للفارس شأن خطير في القتال .

ولا يختلف نظام القتال عند الفرس عن نظام القتال عند الروم الا اختلافا يسيرا . والجيش الفارسي على ما يظهر كان منقسما الى كتائب — والكتيبة تقابل الكردوس وتبلغ

قوتها ألف مقاتل — وكان خط القتال فيه ينقسم الى القلب والميمنة والميسرة وكانت كتائب الخيالة تحمى الجانبين على ما هو شائع . وكانت الفيلة تتقدم في جبهة القتال وعلى ظهورها الجنود المسلحون بالحراب والقسي والذى يلفت النظر انه كان للرماة شأن خطير في الجيش الفارسي . ولعل المشاة كانوا جميعا مجهزين بالقسى وجد ماهرين في الرماية .

ومن الاساليب التى كان الجيش الفارسي يلجأ اليها في حرج الموقف ربط الرجال بعضهم ببعض بالسلاسل لكي يثبتوا في محلهم مهما كلفهم الامر .

فازاء هذه الانظمة الشائعة بين الدول الكبرى المجاورة لبلاد العرب كان طبيعيا ان يسير الحرب على أسلوب معين في قتالهم ..

ولم يغزو العرب في عقر دارهم في السنوات التى سبقت الفتوح والرواة يروون هجوم الحبشة على بلاد اليمن . وتوغلهم فيها بعد انتصارهم على الجيش اليماني ، ويشيرون الى التجاء تبابعة اليمن الى أكاسرة فارس وطلب النجدة منهم

فخاض الجيش الفارسي عباب البحر على اسطوله ورست سفنه على شواطيء اليمن وحارب الاحباش وانتصر عليهم وطردهم من اليمن .

والقصاصون ينقلون اخبار المناذرة والغساسنة فى حروبهم ومساعدتهم لكسرى اولقيصر في الحروب الطاحنه التى دارت رحاها بين الفرس والروم . وقد ورد في القرآن الكريم نتف من اخبارها

أما مؤرخو الرومان فيذكرون انتصار ملك تدمر أذنية على الرومان واعتزاز زوجه الزباء (زينوبيا) بالعاصمة تدمر .

فهذا الاحتكاك المستمر بين العرب والامم المجاورة لهم والاشتراك في القتال مع الجيوش الاجنبية منجدين او مستنجدين ، والغارات المتوالية على ارض السواد في العراق أو أرض الشام ، كل أولئك حمل العرب على اقتباس بعض الاساليب الحربية الشائعة عند الفرس والروم ، لذلك لا يأخذنا العجب اذا سمعنا ان للمناذره كتيبتين أو كردوسين :

الدوسر والشهباء ؛ وان بكر بن وائل قاتلت الفرس في يوم ذى قار على تعبئة

ومن المبادىء الحربية التي كان العرب يتمسكون بها في قتالهم مبدأ المباغتة والمقدرة على الحركة والامنية . فالمباغتة من اخطر المبادىء التي كانوا يتوخون منها الفوز في جميع خططهم ؛ لذلك تدل اخبار أيامهم ووقائعهم في الردة على عنايتهم الزائدة بالاستطلاع فكانت العيون تسبق حركاتهم فاما ان يباغتوا عدوهم بأخذه على غرة أو ان يكمنوا له فيفاجئوه .

اما مبدأ المقدره على الحركة فظاهر من سيرهم على ظهور خيلهم أو جمالهم خفافا مسافات بعيدة بسرعة فائقة واما عنايتهم بمبدأ الأمنيه فمعلوم من ايفادهم الارصاد والعيون ، ووضع الخيالة في المجنبة في القتال ومراقبة جانب العدو مراقبة مستمرة للهجوم عليه عند سنوح الفرصه .

ومن المحتمل اننا لانرى في كتب التاريخ مثالا للحركة السريعة التى قام بها خالد بن الوليد حين أمره عمر بنجدة جيش سوريه وهو يحارب في العراق فقطع بن الوليد البادية

بجيش يبلغ عدده تسعة آلاف مقاتل على ظهور الخيل والجمال وابتدع وسيلة لضمان الماء اللازم لخيله — وذلك عمل يدل على نبوغ نادر وسنشير الى ذلك عند البحث في فتح العراق .

وفي غزوة أحد كانت قوة المسلمين ألف رجل تخلف منها ثلثمائة رجل . وكانت قوة قريش ثلاثة آلاف رجل فنظر الرسول في كثرة قوة العدو فاخلى المدينة وانسحب الى شمالها جاعلا جبل أحد خلفه للاستفادة من مناعته ومن وضعه المشرف على ماحوله. ولما لم يكن الجانب الأيسر مسنودا بقوة ا وضع فيه مفرزة رماة بقوة خمسين رجلا لحمايته . اما جيش قريش فرتب صفوفه للهجوم بعد ان وضع قوة الخياله على مجنبته . وكانت تبلغ مائتي رجل ، وقدم الرماة في الخط الاول .

وكان خالد على رأس خيالة قريش في الجانب الاول يراقب رماة المسلمين ويشاغلهم ويتحين الفرص للهجوم عليهم لكي يقطع خط الرجعة على المسلمين وفعلا استطاع ذلك لما سنحت الفرصة فقلب فوز المسلمين الى انكسار مروع

فهذا كله يثبت لنا ان للعرب اسلوبا في القتال وأن مبدأ المباغتة ومبدأ الامنية كانا من أخطر المبادىء التي ساروا عليها .

وفي يوم ذى قار نرى بوضوح النظام الذى سار عليه العرب في قتالهم الفرس وهو يؤيد ماذهبنا اليه

ولايخفي ان معركة ذى قار وقعت بين غزوة بدروغزوة أحد فانتقم فيها العرب من الفرس ونالوا ظفرا حاسماشجعهم علي الاستهانة بقوة فارس وساعدهم على غزو بلاد السواد غزوا متواصلا حتى آل الامر الى فتحهم تخوم العراق

ويروى لنا صاحب الاغاني اخبار ذلك اليوم بالتفصيل والواضح من ذلك ان العرب عبأوا قوتهم صفوفا وقسموها الى كتائب وجعلوا الظعن في الوراء ليحموه بقلبهم وكان بمنزلة القاعدة التي يتمون منها الجيوش في يومنا هذا وتوضع الخطط الحربية لحمايتها .

واقاموا قوة فى الميمنة من بنى عجل وقوة في الميسرة من بنى شيبان

اما القلب فألفته قبائل بنى بكر بن وائل ومن

الاساليب التي سار و عليها انهم لم يقدموا الصفوف للقتال دفعة واحدة لكي لا تصيبها سهام الفرس فتفتك بها وكان الفرس على ما نعلم ماهرين في الرماية . والحقيقة ان تقديم الصفوف بأجمعها في وقت واحد يجعلها عرضة للسهام دفعة واحدة . بينما البدء بالحركة بكتيبة واحده يجعل الصفوف الاخري في مأمن من ضررها . وهذا من الاساليب التى كانت تراعى فى هجوم الخيالة على المشاة ، إذ تبدأ الحملة بخط منتشر ضعيف من الخيالة وتليها الخطوط المنظمة

فالعرب على ما يظهر جليا دخلت ميدان القتال بنظام لم يكن أقل شأنا من نظام الفرس وكان من أمره أن هزموهم شر هزيمة وطاردوهم الى أرض السواد بعد أن غنموا أحمالهم وأثقالهم . .

ولعل الطريق التي سار عليها الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر تدل على فكرة التعبئة عند العرب . كانت قوة المسلمين تبلغ ثلثمائة مقاتل بينهم خيال أو خيالان فقط بينما كانت قوة قريش تربو على الالف وفيها مائة خيال

وكان القصد من هذه الغزوة مباغتة قافلة قريش عند

عودتها من الشام الي مكة ولما وصلت قوة المسلمين الي مياه بدر علمت من الاسرى ان قريشا أنجدت القافلة بقوة كبيرة كانت ثلاث أضعاف قوة المسلمين وكان لابد من الاصطدام لان انسحاب المسلمين دون القيام بعمل مما يؤثر في سطوة الاسلام ويشجع المنافقين على الشغب .

لذلك قرر الرسول أن يقاتل قريشا بقوته الضعيفة على أن يزيد مناعتها بالتدابير التعبيرية الموافقة فاختـار موضعا يهمن على معسكر قريش وقسم قوته الي ثلاثة أقسام وجعل لكل قسم قائدا ورتب الاقسام بعضها بجانب بعض وعبأها صفوفا كالبنيان المرصوص وعرض الصفوف بنفسـه فقدم المتأخر من الجنود وأخذ المتقدم منهم فأصبحت الصفوف متراصة .

ومنع المسلمين من رمى السهام ومن التفاخر وطلب منهم أن لا يتقدموا من محلهم ولا يردوا إلا بعد أن تدنوا قريش منهم على مسافة قريبة وكان يقصد بذلك أن تصيب السهام قوة قريش الفائقة فلا تبعثر . وبفضل هذه الترتيبات انتصر المسلمون على قريش مع قلة عددهم وضآلة سلاحهم ولاشك

في أن القتال بالكر والفر كان شائعا عند العرب ولعلهم كانوا يستعملونه كثيرا في غزواتهم لاخذ الثأر أو لجر مغنم . وكان يقع بين متقاتلين يبلغ عددهم العشرات ولا يجاوز المئات . ولما كانوا يقاتلون بالجموع في ايامهم الشهيرة أو في مقاتلتهم الفرس أو الروم كانوا بلا ريب يعبئون قواتهم صفوفا

الحركات الاولية

والواضح من أخبار الرواة ان مناوشات طفيفة وقعت قبل ان يتسلم خالد بن الوليد قيادة الجيش للقضاء على أهل الردة في بلاد نجد .

والظاهر ان الرواة لم يتفقوا على أخبار هذه المناوشات جديا على عادتهم والروايات المنتهية إلى سيف بن عمر وهو الراوى الذى يستند اليه الطبرى في ذكر الكثير من أخباره تبحث في قتال عنيف وقع بين المسلمين وأهل الردة قبل ان يزحف خالد بجيشه الى طليحة بن خويلد الاسدي في بزخ . أما الاخبار التي يرويها الواقدي والبلازرى فتذكر قتالا طفيفا جرى في ذى القصة أو البقعاء بين مقدمة المسلمين

وعبث وزبيان انتهى بهزيمة المرتدين بعد ان رأوا ان كوكب (القسم الاكبر) جيش المسلمين وصل لنجدة المقدمة وان قسما من هذا الجيش طاردهم الى ثنايا العوسجة ولما لم يلحق بهم عاد الى المعسكر ولم يتفق الرواة على هـذا القتال أجرى قبل عودة جيش أسامة ابن زيد أم بعـد عودته من بلاد الشام . ومن الاخبار ماتروي ان كبار الصحابة أشاروا على أبي بكر الا يرسل جيش أسامة بعد ان وردت الاخبار بارتداد العرب الا ان أبا بكر لم يقدم على تغيير ما أمره الرسول به في حياته والذى اتفق عليه الرواة ان جيش أسامة لم يغب عن المدينة أكثر من شهرين وكان الجيش متجمعا في الجرف في شمال المدينة لما توفي الرسول ومع ان أكثر الرواة يزعم ان أخبار الارتداد في الشرق والشمال والجنوب الشرقي وردت قبـل حركة جيش أسامة . وذلك ماجعل كبار الصحابة يشيرون على الخليفة بابقاء الجيش ليعتز المسلمون به في محاربتهم أهـل الردة ، الا ان الواقع لا يؤيد ذلك اذ لا يعقل ان يصل نعي النبي الى بلاد عمـان والبحرين فيرتد أهله ويصل ذلك النعي الي المدينة وجيش أسامة قاعد لا يحرك ساكنا واذا

كان الخليفة يريد ان ينفذ أوامر الرسول فلماذا يؤخر حركة هذا الجيش طول هـذه المدة وتدل الانباء على ان أول من انبأ بالارتداد عامل المـكة وأعقبـه عامل الطائف بالخبر ثم ورد عمرو بن العاص الى المدينة بخبر ارتداد أهل عمان والبحرين ونجد وكان الرسول بعد حجة الوداعي قد أوفده الي عمان فلما بلغه نعى النبي (صلى) قفـل راجعا الي المدينة وأخبر بوضوح ان العرب ارتدت من ربى الي المدينة والمدة التى تصل فيها أخبار الوفاة الي عمان ليست قصيرة كما ان السفر من عمان الي المدينة أيضا يتطلب عدة أيام . أما المسافة بين عمان والمدينة ١٢٥٠ ميل (اعنى مسـيرة أكثر من عشرين يوما على الذلول)

ومن الواضح ان كبار الصحابة لم يرتأوا ابقاء جيش بمجرد رؤيتهم قبائل فزارة وغطفان يرتدون والامر الذى لاشك فيه ان خبر امتناع بعض القبائل العربية القريبة من المدينة عن تأدية الزكاة وردت الي المدينة قبل حركة جيش أسامة واذا صح ادعاء الرواة فان خـبر ارتداد العرب فى أقصى البلاد ورد الى ابى بكر فاطلعه على حرج الموقف قبل

سفر جيش أسامة فيكون الخليفة قد جازف مجازفة خطيرة بايفاده الجيش شمالا بينما كان الخطر يهدد المسلمين في عقر دارهم .

ومن الرواة من يزعم ان ابابكر شرع في قتال اهل الردة بعد عودة جيش أسامة ومنهم من يدعي ان قتال ذي القصة والربذة جرى قبل عودة جيش أسامة اما نحن فنميل الى الاعتقاد ان القتال وقع قبل عودة الجيش اذ لا يعقل ان تتواطىء غطفان على الهجوم على المدينة وتعلم بان جيش أسامة رابط في شماله بينما الروايات التي يستند اليها الواقدى والبلازرى تدل على ان قوة المسلمين كانت ضعيفة في ذلك القتال .

الشروع في العصيان .

اول من شرع في العصيان خارجة بن حصين الفزاري من رؤساء بنى فزاره اذ انه اوقف جابي الزكاة في طريقه الى المدينة واخذ منه ما في يده فرده على بنى فزاره ورجع الجابى الى ابي بكر اما القبائل التي ثارت وتظاهرت بالعداء

فهي بنو أسد وغطفان والبعض من بطون طي فاجتمع بنو أسد في شميراء وعلي رأسهم طليحة بن خويلد واجتمعت فزارة في جنوبي طيبه واجتمعت عبث وزبيـان في الردة والتف حولهم جماعة من كنانه ولمـا كثر عددهم لم تحملهم البلاد لان المياه شحيحة والمرعي قليل فتفرقوا الى فرقتين فاقامت فرقة بالابرق بالقرب من الربذة والاخرى في ذي القصة وأمد طليحة فرقه ذى القصة بقوة من بنى أسد والداعى الي تفرقهم هو ان الوقت كان ضيقا لان الرسول توفي فى شهر ربيع الاول في السنة الحادية عشر من الهجرة وهذا التاريخ يوافق شهر حزيران سنة ٦٣٢ ميلادية والمياة علي ما نعلم تشح في الصيف وكذا المراعي تقل حينئذ فبعثت غطفان وفدا الى المدينـة ليعرض على أبى بكر رغبتها في ان تقيم الصلاة وألا تأتي الزكاة وكان عيينـه بن حصن الفزاوى واقرع بن حابس في الوفد

فلم يلب ابو بكر طلبهم برغم اشارة بعض الصحابة عليه بالتساهل معهم الى أن يعود جيش اسامة الا انه في الوقت

نفسه قدر خطوره الموقف لما عاد الوفد الى اهله وكان للوفد على مايظهر مهمتان :

عفو الزكاة والاطلاع على قوة المسلمين في المدينة وقد لاحظ ابو بكر ذلك اذ لم يعد الوفد حتي جمع الصحابة واطلعهم علي حرج الموقف وكلفهم بحراسة المدينة ليلا ونهارا فأقام رجالا في الابراج لمراقبة الطرق الممتدة الي المدينة من جهة البادية ورتب قوة احتياطية في المسجد لتكون علي استعداد للنجدة عند الحاجة وحذر أهل المدينة بقوله : « انكم لاتدرون أليلا تأتون أم نهارا وأدناهم منكم على بريد » يشير بذلك الى قرب المسافة بين المدينة والقبائل المتحفزة للهجوم وقد يعجب الانسان بصلابة أبي بكر في رفضه طلب الوفد بعد اطلاعه علي اخبار عماله لدى القبائل وسماعه حديث عمرو بن العاص وكانت جميعها تنبيء بارتداد العرب عامة أوخاصة ولا يوجد في المدينة سوى نفر قليل وجيش أسامة بعيد عنها فنظرا الي ماذكره الواقدي في كتاب الردة ان ابا بكر لم يكتف بالتدابير التي اتخذها في المدينة بل طلب من القبائل العربية فاسلم غفار ومزينه

واشجع وجهينة وكعب ان تمده بالرجال فأسرعت الى نجدته فاخذ الناس يتوافدون الى المدينة بسلاحهم وارسلت جهينة اربعمائة راكب وإذا صدقنا رواية سيف بن عمر التى نقلها الطبري ظهر لنا ان ظن ابى بكر كان في محله اذ لم تمض ثلاثة أيام على عودة الوفد حتي كان المرتدون قد غزوا المدينـة ليلا ولابد ان الوفد بعد عودته أخبر القبائل المتحفزة للهجوم عن ضعف قوة المسلمين في المدينة وشجعها على الهجوم وكانت من غطفان وهي عبس وذبيان وفزارة على مانعلم

المواقع التى جرى القتال فيها

وردت أسماء السميراء والربذة وطيبه والابرق وذي القصة عند البحث في تجمع القبائل . ولا يوجد الآن من هـذه الاسماء فى الخرائط الحالية إلا السميراء . ولنا من الاخبار التي نستقيها من رواة العرب الاقدمين أن القبائل الساكنة في شرقى المدينة وعلى طرفي الطرق الذاهبة الي العراق وخليج فارس هي بنو سليم وهى أقربهـا الى المدينـة في الشمال الشرقي .

ثم يليها بنو كلاب الي شمال بنى سليم . ثم عبس وذبيان فى شرقي حرة خيبر الى الشمال . أما قبائل طيء فتسكن في جبلها أجأ وسلمى . وفي شرقي بنى عبس وذبيان وفزاره من غطفان فى وسط وادى الرمة وعلي جانبيه وتأتي بعدها قبائل بنى أسد . وموقع سميراء على مايظهر من الخريطة واقع الى شمالي وادي الرمة . ويبدأ منه وادي السميراء الذى يصب في الوادي فى جوار الحاجر .

الربذه

يذكر ياقوت الحموي ان موقع الربذة علي الطريق التي تصل موقع فيد بالمدينة وفيد في حي طيء وهى قرية من قرى جبل شمر واقعة الى شرقى جبل سلمي على الطريق التي فصل الكوفة بالمدينة ويمر بها طريق الحج وهي بعيدة عن المدينة مسافة ست مراحل وتلقى فيها عدة طرق من الجوف والعراق والمدينة وبريدة والرس والربذة على هذه الطريق وهي تبعد عن المدينة أربعة وعشرين فرسخا وواقعة الي شمالي شرقها ولعل موقع حنا كيه الحالي هو موقع الربذة القديم

أو قريب منه لان بعده عن المدينة زهاء ثمانين ميلا والفرسخ العربي طوله أربعة كيلو مترات ونصف كيلو متر أو أربعة كيلو مترات والذي يجعلنا نميل الى ذلك ان القوة لم تجتمع في الربذة بل في الابارق وكلمة أبارق اسم خاص لبعض المحلات تدل على أرض حجرية ورملية مختلطة. وموقع الحناكية بالقرب من حدود حرة خيبر والحرة على ما نعلم أرض بركانية خامدة وفيها محلات لترا كم الماء فيها وما دامت الذبائل مجتمعة فيها فلا بد حينئذ من وجود الماء بها والحناكية واقعة في بطن وادى الحمض

ذو القصة أو البقعاء :

والظاهر أن كلتيهما تدلان على موقع واحد واقع فى شرقى المدينة وقريب منها وهو بلا شك على الطرق التى تمتد الي المدينة في غرب الربذة أو فى جنوبها وهو إما الشقرة أو سابية والاخبار تدل على ان أبا بكر بعد أن هزم المرتدين في البقعاء طاردهم بخيله الي ثنايا الموسجة بالقرب من الركبة وهذا الموقع الاخير واد يصب في الرمة ولعله وادي الركب الذى

ينبع من حرة خيبر ويجري شمالا في شرق وثنايا الموسجة في المحل الضيق الذي يتسلق فيه الطريق صاعدا الي رأس الوادي أو ينزل منحدرا منه .

أما موقع طيبة الذى اجتمع فيه غطفان وفزارة فلم نعثر عليه في معجم البلدان ولعله فى شرقى الربذة أو في شماليه أو أنه موقع طابة في سفح جبل سلمي الجنوبى في شمالى السميراء وهو من ديار غوث بن طيء

مباغتة المدينة

لم يهجم المرتدون بكل قوتهم لانهم أرادوا أن يكونوا خفافا فتركوا قسما منهم فى ذى حسى بين ذي القصة والمدينة ليكون رداء لهم واقتربوا ليلا من المدينة ولم يباغتوها لان العيون أخبرت المسلمين بدنوهم فقاتلتهم الربايا الخارجية وأسرع أبو بكر بمن فى المسجد فأنجد الربيئات اوهزم الهاجمين ولم يكتف بذلك بل هاجمهم على الجمال التى تستقي الماء من الآبار لاسقاء مزارع المدينة الى أن نفرت الابل من الجلود المنفوخة التى دهدهها الفاروز من أعلى الروابى فرجعت على

أعقابها نافرة حتى دخلت المدينة والظاهر ان الهاجمين لم يكونوا في قوة كبيرة ولا سيما بعد أن تركوا قسما منهم فى الخلف ويظهر أنهم من بنى عبس وذبيان أما فزارة فبقيت في ذى القصة وهكذا انقسمت القوة التى أرادت أن تهاجم المدينة الى ثلاثة أقسام قسم في ذى القصة وقسم في ذى حسى والقسم الثالث اغار على المدينة أما قوة المسلمين فلا شك فى أنها كانت ضعيفة ولعلها لم تزد على المائتين وتشجع المرتدون من فرار جمال المسلمين وظنوا بهم الوهن وبعثوا الي من بذى القصة بالخبر فلحقوا بهم

ويختلف الرواة في الحركة التى جرت ، فالاخبار التى يستند إليها الواقدى والبلاذرى لاتبحث فى غارة المرتدين على المدينة ، ولا تذكر موقع ذي حسى وتذكر ان ابا بكر لما علم ان القبائل اجتمعت في ذى القصة بقصد الغارة قرر ان يقاتلها في عقر دارها غير مبال بقلة عدده . وقصده من ذلك ارهاب المرتدين والقاء الرعب في قلوب العرب وجعلهم يعتقدون ان المسلمين اقوياء وان ذهاب جيش اسامة لم يقلل من قوتهم ، فتقدم ابو بكر على رأس المقدمة

الراكبة نحو ذى القصة يعقبه العكوكب (القسم الاكبر)
وبالنظر الى رواية سيف ان الجمال بعد ان نفرت براكبيها
ودخلت المدينة بات ابو بكر ليلة يتهيأ للهجوم ، فبعد ان
رتب قوته خرج مبكراً من المدينة وباغت عدوه فهزمه شر
هزيمة ، والذى يلوح لنا ان الروايات الاولى هي الاصح
وكانت قوة المقدمة تبلغ مائة رجل وسارت يومها وعسكرت
مساء بالقرب من أجمة (فباغتها العدومن مكمنه والجأها إلى الفرار
فاحتمى ابو بكر بالاجمة ...) منتظراً ورود الكوكب (القسم
الاكبر) ولما نادى احد المسلمين بوروده انهزم المرتدون فطاردهم
المسلمون الى ثنايا العوسجة ثم قفلوا راجعين الى ذى القصة .

ويذكر الواقدى ان ابابكر لم يخرج الي ذى القصة
الا بعد عودة جيش أسامة الي المدينة ، غير اننا لا نميل الى
رأيه لان مجري الاخبار يدل على ان قوة المسلمين كانت
ضعيفة لما خرجت من المدينة قاصدة العدو ويزعم سيف
ان بنى ذبيان وعبس بعد هزيمتهم هذه وثبوا على من فيهم
من المسلمين فقتلوهم . وحلف ابو بكر ليقتلن من المشركين
في كل قبيلة وليقتلن من كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين .

وكانت وقعة ذي القصة والبقعاء اول نصر للمسلمين على المرتدين ومنها تظهر فراسة ابى بكر وصلابة عوده.

لابد ان القارىء انتبه الى فساد خطة القبائل في محاولتهم غزو المدينة اذ بدلا من ان يجتمعوا في محل واحد للهجوم على المدينة أو ان يقاوموا جيش المسلمين مما اجتمعت كل قبيلة في حيها فاجتمع بنو أسد في السميراء ، وفزارة في طيبة وجديلة وغوث من طيء في جبليها ، وذبيان وعبس اجتمعت فرقة منها بالقرب من الربذة والاخري من ذى القصه أو البقعاء.

والداعى الي تفرقهم على ما يظهر ان المياه في كل محل من تلك المحلات لم تكن كافية لاداء لارواء جماعة كبيرة ، وكان الكلأ قليلا فضلا من صعوبة اجتماع كلمة القبائل علي غاية واحدة وكان قبل ذلك حلف بين بنى أسد وغطفان وطيء ، بيد ان قتالا وقع بين غطفان وبنى أسد من جهة اخري فامست القبائل متخاصمة وكذلك كلمة طيء لم تكن مجتمعة فمال الى المرتدين فرقتان منها فقط . وهما جديلة وغوث اما الفرق الاخرى فبقيت على اسلامها وكانت القبائل في قيامها على

المدينة يراقب بعضها بعضا ، ولا تريد ان تكون البادئة بالعداء ذلك ماجعل كلا منها يبقى في حيه ويراقب عمل الآخر .

وقد اختبر الصديق حالة القبائل وتأكد ان كلمتها لم تجتمع لذلك لم يشأ ان يؤخر جيش أسامة عن سفره واكتفى برجال المدينة والموالين من القبائل القريبة منها وقد أيدت الوقائع رأيه وبعد انتصار ابي بكر على القبائل في البقعاء قفل راجعا الي المدينة ولما شاع خبر انتصار المسلمين علي اهل الردة في اول قتالهم اخذت الصدقات تأتى من الاطراف بعد ان تردد اهلها في أرسالها فوردت صدقات عدى بن حاتم من طىء وصدقات اخري .

وبعد مده قصيره عاد جيش أسامة من الشمال فقرت به أعين المسلمين فلم يمهل ابو بكر المرتدين بعد ان بلغه ان بنى عبس وذبيان اوقعت بمن فيها من المسلمين ومثلت بهم ، وبعد وقعه ذى القصه اراد ان يفنى من في الابرق فأراح جيش أسامة بضعة أيام وخرج بالقوة التي سار بها الى ذى القصة بعد ان انجدها بالناس من جيش اسامة وتوجه نحو

الابرق . وفيه الفرقة الثانية من بني عبس وذبيان وبنى كلاب وغيرهم

وقد ناشده كبار الصحابة بألا يعرض نفسه للخطر بقيادة الجيش بنفسه الا انه لم يجب طلبهم . فبعد ان عبأ جيشه باغت المرتدين في الابرق فهزمهم شر هزيمة وانسحبت فلولهم الى السميراء والتحقت ببنى اسد . ولما رأى طليحة الخطر انسحب بجميع القوات التي التفت حوله الى بزاخة .

واقام ابو بكر في الابرق وكان يملكه بنو ذبيان فاعطى مراعيهم لخيل المسلمين وحرم بطون ذبيان منها .

تولية خالد بن الوليد قيادة الجيش :

تدل الاخبار على ان خالدا اشترك في قتال ذي القصة والابرق مع المهاجرين ولما رجع ابو بكر الى المدينة انسحبت قوة المسلمين الى ذى القصة ، وتولي قيادتها خالد بن الوليد .

وتذكر الروايات التى تبدأ بسيف بن عمر ان ابابكر لما وصل الى المدينة جمع رجالا من القبائل المجاورة للمدينة

وأرسلها الي ذوي القصة لتقوية جيش المسلمين . ثم عاد الي ذى القصة فأستعرض الجيش وقسمه الي احدى عشر فرقة وعين قائدا لـكل منها فوجهها الى مناطق المرتدين في جزيرة العرب لقتالهم والقضاء على حركة الردة .

وهـذه الرواية التي يرويها سيف يصعب تصديقها وذلـك :

اولا : لان قوة المسلمين لم تكن في عدد يكفي لتقسيمها الي احدى عشر فرقة .

ثانيا : ان ايفاد فرق البحرين وعمـان ومهرة وحضرموت واليمن قبل قمع الفتنة في قلب جزيرة العرب مسألة فيها نظر .

وعبر طريق البحرين وعمان ومهرة ببـلاد بنى حنيفة وفيها مسيلمة ثائر وهو معتصم في بلاده الوعرة. والحقيقة ان قوة جيش المسلمين لم تجاوز بضعة آلاف على ما ذكرناه في بحث تقدير قوة الفريقين . فجيش اسامة لم يتجاوز ستة آلاف ، اما القوة التى جهزها لمقاتلة من اجتمع في ذي القصة فلم تتجاوز الالفين . فتقسيم هذه القوات جميعا الى أحد

عشر قسما مما يجعل كلا منهـا ضعيفا بحيث لا يستطيع القيام بالواجب المنوط به بينما الاخبـار تؤيد ان جيش خالد بن الوليد وحده كان يبلغ اربعة آلاف رجل ثم ان هناك اخبارا تؤيد حبوط هجوم فرقة عكرمة بن ابى جهل وكذلك هجوم فرقة شرحبيل بن حسنه على قوات مسيلمة وانسحابها الى الوراء والتحاقها بفرقة خالد بن الوليـد مما يجعلنا نميل الي الاعتقاد ان ابا بكر فكر قبل كل شيء في القضاء عن حركة الردة في وسط جزيرة العرب وجمع لذلك ما في يده من القوات المتيسرة وناط قيادتها بخالد .

قوة الجيش :

ان الرواة على عهدنا بهم لم يرووا لنا مقدار قوة المسلمين التي احتشدت بقيادة خالد بن الوليد في ذي القصة والمصدر الوحيد الذي يذكر لنا قوة خالد هو ابو حبيش إذ يروي لنا انها كانت تبلغ أربعة آلاف مقاتل قبل حركته الى بزاخه وكان الجيش على ماسبق بيانه مؤلفا من القوة التي جمعها ابو بكر من القبائل المجاورة للمدينة على جناح السرعة

للهجوم علي المرتدين في ذى القصة بعد تهديدهم للمدينة .
ومن القسم الذى التحق به من جيش أسامة بعد عودته الى المدينة قبل الهجوم على الابرق . ومن الواضح ان البعض منه تخلف عن الالتحاق ليقضى مدة من الزمن بين اهله بعد ان غاب عنهم مدة شهرين في سفره الى الشمال

والذي يظهر من رواية سيف ان ابا بكر لما عاد الى المدينة ارسل هذا القسم المتخلف أيضا الى ذى القصة، وبعد التحاقه اصبح جيش خالد اربعة آلاف او اكثر وكانت قوة الانصار وحدها تبلغ زهاء خمسمائة مقاتل . أجل ان العدد ضعيف بالنظر الى المهمة الخطيرة المنوطة به الا ان تجانس القوة في هذا الجيش وصلابة المعتقد فيه وتفرق كلمة القبائل المرتدة جعلته اهلا للعمل

منطقة الحركات

يحد المنطقة التي جرت فيها الحركات من الشرق الدهناء وهي الساحة الرملية الممتدة من الشمال الغربي الي الشرق الجنوبي في شرقي القصيم وكانت الدهناء ولا تزال المفازة

التي تفصل ارض السواد (اعني العراق) من بلاد نجد ويحدها من الشمال جبل شمر أعني بلاد طيء المرتفعة التي تمتد جبالها على ما سبق من الشمال الشرقي الي الجنوب الغربي واخطرها جبلا سلمي في الجنوب وأجأ في الشمال ، وفيها وديان كثيرة أجلها شأنا وادي حائل وهو يبدأ من بزاخة طيء بشعاب متعدده ، ويفصل الجبلين احدهما عن الاخر حيث تنصب فيه عدة شعاب من الشمال والجنوب وتغمره بالمياه في موسم الامطار ، وقد شيدت على جانبيه القرى التي ترتوي بمياه الآبار المنصرفة إليها من الجبال . ولما كان جبل سلمي وجبل رمان يشرفان على وادي الرمة من الجهة الشمالية . فالشعاب التي تمر بالاطناف الجنوبية تنحدر جميعا الى ذلك الوادي . وهذه الاطناف هي الحدود الفاصلة بين حي بني أسد وحي فزارة من بني غطفان وقريتا فيد وطابة لبني طيء وهما على الحدود

ويحد منطقة الحركات من الغرب حرة خيبر ، ومن الجنوب الهضبة المشرفة على وادي الرمة من الجنوب . وفيها بنو سليم في الشمال وبنو عامر في الجنوب وموقعها

العمق في الغرب ورابيه ابان الابيض في الشرق في ارض بني مسليم

والوادي أرض منخفضة بين هضبتين مرتفعتين تنصرف إليه جميع المياه التي تنزل عليها في موسم الامطار ، واذا حفرنا الآبار في بطنه على عمق بضعة اقدام نعثر فيها على ماء كثير .

والطريق التي تصل المدينة ببلاد القصيم تمر بهذا الوادي وبعد ان يترك المدينة يمر بالبقعاء أو ذي القصة بالقرب من سابيه ثم بالشقره فالربذة بالقرب من الحناكية فالمشقق فبئر الطرفة ، فالى جنوب أكمة الخيمة حيث يدخل أرض بنى أسد ، ويمر بعد ذلك بين الابانين : أبان الاسود في الشمال وأبان الابيض في الجنوب والاسود في الارض بنى أسد الي يمر بشمال الرس وهو بئر ماء لبني اسد فيصل الي القريتين في بلاد قصيم ، أعنى العنيزة في الجنوب وبريدة في الشمال وكلتاهما في حى بنى تميم

ويسكن بنو أسد في الساحة الواسعة التي فى شمال الوادي من جنوبي قيد واطابة غربي السميراء والظهران السليلة .

وفي غربى النقرتين نقرة السلاسل ونقرة الخطوط وجبل

صارة . وفي ارض بني اسد يقع موقع الغمر وهو رابية مرتفعة تشرف علي وادي الغمر الذي ينبع من سفح جبل الوشم الشمالي ويصب في الكهفه . وبالقرب منه تقع بزاخة بني أسد وهي الموقع الذي نشبت فيه المعركة بين جيش خالد وجيش طليحه.

والذي جعلنا نميل الي الاعتقاد بان موقع بزاخة في هذا المحل هو ما ذكره ياقوت الحموي في معجمه نقلا عن ابن الكلبي اما الاصمعي فيروي ان بزاخة ماء لطيء وفي جبل طيء موقع آخر يسمى بزاخة . . وعلى ما يظهر لنا من مجرى الحركات ان القتال بين المسلمين وبين المرتدين لم يقع في ارض طيء . بل وقع في ارض بنى أسد بالقرب من الغمر ولا سيما ان خالداً بعد انتصاره علي طليحه وجه سراياه في جهات مختلفة مطاردا فلول المنهزمين : وهذه السرايا قاتلت المنهزمين في جبل رمان في الابانين . ولا يعقل ان المعركة نشبت في بزاخة طيء والمطاردون يطاردون المنهزمين الى رمان والابانين ، بل من المعقول ان تذهب المعركة في جوار الغمر فيشرد المنهزمون الي انحاء مختلفة

فينهزم بنو فزارة الي حيهم في جنوبي الرمان وغربيه ، وبنو أسد الى الابانين والي ظفر في جوار كهفة والى النقرة — أعنى الى حدود الحي .

وفي منتهي الشرق بلاد بنى تميم و القصيم علي الحدود بين أسد وبنى تميم وهى من أغني البقاع الواقعة فى نجد وتحدها رمال الدهناء من الشرق وفي غربيها مراعي الحزن وفي شرقيها مراعى الصمان ، وكلتا البقعتين من اخصب المراعى وهما لبنى تميم . وبنو يربوع في الحزن الى وادى حائل والصمان الى بنى حنظله . وماء الطريفة في شمالي البريدة لهم أيضا . والبطاح فى جنوبى الحزن وفيه قرية بريدة وموقع البعوضة والقمرة وهو مشهور بجودة الكلاء وفيه دارت الدائرة على مالك بن نويرة رئيس بنى يربوع

ولا تزال احدي ضواحي البريدة تسمي بالبطاح والعصبة تتألف من اربع ضواح ، وهى جردة وجديدة وشمال و بطاح وموقع النباح في حى بنى تميم وهو المحل الذي وصلت اليه سجاح برجالها فقاتلها بنو تميم و كسروها وهو واقع فى الحزن على طريق الكوفه بعد الفيد .

نسبة القبائل

من المفيد ان نذكر نسبة القبائل وقرابة بعضها لبعض وأكثر القبائل التى ارتدت عدنانية تنتسب الي مضر ،ماعدا قبيلة بنى حنيفة فهي من ربيعه

والقبائل العدنانيه تنتسب الي شعبين كبيرين ،وهما مضر وربيعه ..

وشعب مضر ينقسم الي ثلاثة أقسام رئيسية فالقسم الاول :

قيس ، ومنها غطفان وهوازن وسليم والى غطفان تنسب فزاره وعبس وذبيان والى هوازن تنسب ثقيف

والقسم الثاني قبيلة طابخه واليها ينتسب بنو تميم

والقسم الثالث مدركة واليها ينتسب بنو أسد ومنها كنانة واليها تنتسب قريش

أما شعب ربيعة فاشتهرت منه القبائل الآتية :

عنترة وعبد قيس وبكر وتغلب وبنو حنيفة وينتسبون الى بكر بن وائل

الموقف قبل الحركات

التقت فلول غطفان بن فزاره وعبس وذبيان بطليحة بعد انهزامها في ذى القصة والربذة واجتمعت مع بني اسد في بزاخة . وقد مال اليهم فرقتان من طيء وهما جديلة وغوث على ما ذكرناه سابقا . ولم تترك هاتان الفرقتان حيهما ، بل اجتمعتا في أكناف جبل سلمي أعنى بالقرب من موقع طابه في الجنوب الغربي من فيد

أما الباقى من بنى طيء فظل على الحياد بسعى عدي بن حاتم وأما قبائل بنى عامر بن صعصعه وهى في الشمال الشرقى من جبل شمر ، فكانت تراقب مجرى القتال ، وتنتظر عاقبة المعركة لترى رأيها بعد ذلك .

أما بنو تميم فلم يوحدوا كلمتهم ، بل كانوا منقسمين على بعضهم . وبينما كانت القبائل المرتدة على هذا النحو من تفرق الشمل واختلاف المقصد كان خالد بن الوليد على رأس جيش متجانس صقلته الغزوات والحروب وحنكته التجارب متأهبا للحركة عند أول أمر يصدره قائده

وكان هذا الجيش قليل العدد غير ان كفاية قائده ضمنت له الفوز وكلما أحرز فوزا ازدادت قوته بانضمام المحايدين اليه ، لأن الغلبة كانت تأتي لهم وقد تم ذلك فعلا ويزعم بعض المؤرخين أن قوة جيش خالد كانت تبلغ ثلاثة آلاف مقاتل حين تقدم نحو طليحة . فلما تقدم نحو مسيلمة أصبحت عشرين ألفا

الحركات

يقول ابن حبيش نقلا عن الواقدي ان جيش خالد بدأ بالحركات من ذى القصة فى اليوم السابع والعشرين من الشهر وهذا الشهر إما جمادي الآخرة وإما رجب . لان الرسول توفي في شهر ربيع الاول وان جيش أسامة قضى في حملته شهرين وأجل حركته في الجرف مدة من الزمن . والمعلوم ان معظم قوة أسامة ألفت جيش خالد فتكون المدة التي انقضت من وفاة الرسول الى حين حركة خالد من ذي القصة ثلاثة أشهر على أقل تقدير .

فزمن الحركة اما ان يقع في منتصف شهر سبتمبر وإما

في منتصف شهر اكتوبر من سنة ٦٣٢ ميلادية.

واستعرض أبو بكر جيش المسلمين في ذى القصة وخطب في رجاله وأبان لهم الطريقة المثلى التى يجب ان يسيروا عليها. ولفت نظر خالد الى خطورة الاستطلاع وأخذ الحيطة عند الهجوم على أهل اليمامة، وان يجري الحركات على التعاقب فلا يبدأ بحركة مالم يظفر بالتي سبقتها، وان يستعمل الرمح في مكافحة الرمح والسيف في مكافحة السيف ثم طلب منه مراعاة المهاجرين والانصار والرفق بمن معه.

وكانت قوة الجيش تتفاوت بين أربعة آلاف وخمسة آلاف وكان عدد الانصار منه يربي على الخمسمائة وكانت قوة جيش طليحة في بزاخة تزيد على خمسة آلاف. ومعظمها من بني أسد والباقي من غطفان وكان عيينة بن حصن على رأس هذا الباقى.

وكانت فرقتا جديلة وغوث من طيء في أكناف جبل سلمى متأهبتين للالتحاق بطليحة في بزاخة وتبلغ قوتهما زهاء ألف مقاتل. وكان بنو تميم على مانعلم مشغولا بعضهم ببعض. فمنهم من التحق بسجاح ومنهم من خالفها.

أما بنو حنيفة فكانوا في ديارهم باليمامة معتصمين بجبالهم ومعتزين بنبيهم مسيلمة يراقبون الحوادث في نجد

خطة خالد بن الوليد

ان الطريق الاقصر الذي ينتهي بجيش المسلمين الى بزاخة هو الطريق الذى يخترق وادى الرمة . وبزاخة واقعة في المنطقة حيث تكون احياء طيء وأسد قد قرب بعضها من بعض فكل حركة من ذى القصة على هذا الطريق الاقصر تشجع قبائل طيء على الالتحاق بطليحة فى بزاخة ومن عادة القبائل انه اذا لم يهدد الخطر حيها توا تتركه وتسرع الى نجدة الاحياء الاخرى متى أغار عليها الاعداء . كذلك درس خالد الموقف وقرر ان يسلك طريقا يهدد به بلاد طيء فاما ان يلجأ أهلها الي الحياد وإما ان يستميلهم الى جانبه واذا ما تقدم رأسا نحو بزاخة يكون قد ترك بلاد طيء إلي جانبه الايمن وخاطر بالهجوم على بزاخة أما إذا ضمن حياد طيء أو استمالهم الي جانبه فيكون قد هيأ أسباب الفوز على طليحة

والاخبار تدل على ان خالدا صارح أبا بكر بخطته هذه في ذى القصة فأقرها أبو بكر وسبق ان قال لخالد : « إعلم

انك إذا قاتلت أسدا وغطفان فان رجالا منهم معك ينتظرون النصر واذا داراوه حليفك كانوا معك على عدوك »

ولكي يجعل العدو يقنع بأن المسلمين قاصدون بلاد طيء قبل بزاخة يقول ابن الكلبي ان أبابكر أمر خالدا ان يصمد لطليحة وعيينة بن حصن وهما على بزاخة وأظهر انه ملاق خالدا بمن معه من نحو خيبر مكيدة وقد أرعب مع خالد الناس ولكنه اراد ان يبلغ ذلك العدو فيرعبه ثم رجع أبو بكر الى المدينة .

ثم هناك خبر آخر مفاده ان أبا بكر أمر خالدا ان يبدأ بطيء على الاكناف ثم يكون وجهه الى بزاخة ثم يثلث بالبطاح (بنى تميم) وأظهر أنه خارج الى خيبر منصب عليه منها حتي يلاقي خالدا بالاكناف ، اكناف سلمى فخرج خالد فازور عن بزاخة وجنح الي أجأ وأظهر أنه خارج الى خيبر ثم منصب على طيء .

فهذه الاخبار تريك الخطة بوضوح . ان بلاد طيء جبلية وفيها سلسلتان وعرتان ممتدتان على موازاة خط الحركات بين المدينة وبلاد بنى أسد ، وسلسلة سلمي وجبل

رمان في الجنوب وسلسلة أجأ في الشمال والاكناف الواردة في الجنوب المذكورة هى أكناف هذه الجبال . أما أهل البلاد فمنهم من تأهب لمعونة طليحة ومنهم من بقي فى أرضه يتربص . وكان أعظم رئيس في القسم الاخير عدى بن حاتم مع قبائل طيء ومن الاخبار مايؤيد ان أبا بكر بعث عديا الى طيء قبل حركة خالد ليدركهم .

والواضح ان خالدا بخطته هذه أراد ان يسهل خطة عدي بن حاتم وان أشاعة أبى بكر في الجيش مسيره نحو خيبر بقصد الحركة نحو بلاد طيء مما يجعل القسم المتحفز لمعونة طليحة من طيء يرجع الى أرضه للدفاع عنها أو للبقاء على الحياد مع الباقين من طيء .

والحقيقة انها خطة ناجحة تدل على بعد نظر خالد في قيادة الجيش والخطة تجمع بين الناحية السياسية والناحية العسكرية. وكان عيينة بين حصن الفزاري رئيس بنى فزارة كما سبق يسعي لاعادة الحلف الجاهلي بين بنى أسد وغطفان وطيء محرضا جماعته علي ذلك بقولته

«والله لئن نتبع نبيا مع الحلفيين أحب الينا من أن نتبع

نبيا من قريش» واذا ما تم هذا الحلف يكون أمام المسلمين قوة كبيرة يصعب التغلب عليها . وينحصر التدبير السياسي في ايفاد أحد رؤساء طيء البارزين لاقناع القبائل بأن يتركوا جانب طليحة ويميلوا الي جانب المسلمين ولتسهيل هذه المهمة القيام بحركة اغفال بالتظاهر بالهجوم علي بلاد طيء

وكان التدبير العسكري يرمي الي فصل طيء عن بنى أسد وغطفان والهجوم بعد ذلك على قواتهم في بزاخة

فتناولت الخطة اذن الامور التالية .

١ — القيام بحركة اغفال من المدينة في اتجاه خيبر بقصد اقناع طيء أن المسلمين متوجهون نحو بلادهم

٢ — تقدم جيش خالد على الطريق الاقصر نحو بزاخة لتظل قوات طليحة في محلها حتى لا تساعد طيئا

٣ — ترك هدف بزاخة في منتصف الطريق والانعطاف نحو بلاد طيء لارغام قبائل طيء على الالتحاق بالمسلمين قبل ان ينجدها طليحه .

٤ — بعد الوثوق من التفاء (دخالة) طيء، والاستفادة من قواتهم، التقدم بجميع القوات نحو بزاخة لضرب جيش طليحه

الحركة

وبعد عودة أبي بكر الي المدينة وإشاعة خبر مصيره من المدينة بالباقى من المسلمين نحو خيبر نظم خالد قواته وجعل علي كل قسم منها قائدا وكان ثابت بن قيس على الانصار

وتحرك خالد من ذى القصة في منتصف شهر ايلول (سبتمبر) أو شهر تشرين الاول (اكتوبر) سنة ٦٣٢ مارا بربذة ووادى الركبه ومنحدرا الى وادى الرمه وقبل أن يصل الى منتصف الطريق مال الي اليسار يريد بلاد طىء ولقد نجحت حركة الاغفال التى أشاعها أبو بكر لان طيئا التى كانت تستهزيء بالخليفة وتكنيه بأبى الفصيل صارت تخشى بأسه لما سمعت خبر تقدم جيشه نحوها فأقنع عدي بنى حاتم قبيلته وحذرها سوء العاقبة قائلا لبنى قومه « لقد آتاكم قوم ليبيحن حريكم » فطلبوا منه أن يؤخر تقدم جيش خالد حتي يسترجعوا من لحق بطليحة في بزاخة وهى جديلة وغوث وآخرون ...

وكانوا يعلمون أنهم اذا خالفوا طليحة بينها بنوا جديله

وبنو غوث في بزاخة يبقيهم عنده رهائن ويجبر طيئا على الالتحاق به ، وكانت حجتهم عند طليحة طلب اخوانهم من بزاخة لان خالدا قادم نحوهم . فهم يريدون أن يستنجدوا بهم للدفاع عن بلادهم قبل أن يصل جيش المسلمين

وخرج عدي الى خالد ولاقاه في السح فطلب منه أن يبقي فيها مدة قصيرة حتى يتخلى من في بزاخة عن طليحة ويعود الى بلاده فوقف خالد في السح فتفرقت غوث من بزاخة وعادت الى بلاده فأراد خالد أن يتقدم الي الانسر ليلجىء جديلة الي ترك طليحة أيضا بيد أن عديا طلب منه أن يتريث حتى يفسد عليه ما دبره . فعادت جديلة أيضا الى بلادها وهكذا تم لخالد ما أراده فانفصلت طيء تماما عن المرتدين وجددت اسلامها وأمدت خالدا بألف مقاتل

وهكذا طبق القسم الاول من الخطة .

معركة بزاخة

يقول ابن الكلبي ان بزاخة ماء لبني أسد ، ولم يوضح لنا ياقوت هذا المحل في معجمه والذي يلوح لنا انه في جنوبي

فيه في وادي الغمير على الطريق الذي يصل فيه بالبريدة . فالارض فيه سهلة وهي صالحة للقتال .

ولعل المعركة وقعت في نهاية ايلول (سبتمبر) أوفي نهاية تشرين الاول (اكتوبر) إذ مضى على حركة خالد من ذي القصة مايقارب الخمسة عشر يوما وبعد ان أمن خالد جانب طيء واستنجد بهم تقدم رأسا نحو بزاخة يريد طليحة .

وتقدمت أمامه قوة استطلاع بقيادة عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم وتدل الاخبار على ان المرتدين باغتوا هذه القوة وقتلوا قائديها وكانا من فرسان المسلمين المشهورين وكان جيش طليحة متأهبا للقتال يقود بنى أسد سلمة أخو طليحة ويقود فزارة عيينة بن حصن ومعه سبعمائة فارس من فزارة .

ومن الروايات مايدل على أن خالدا وقف بالغمير قبل شروعه في القتال وان كانت الرواية التي يرويها الطبري نقلا من سيف لاتذكر ذلك بوضوح وخلاصة الرواية ان أحد المسلمين أخذ رجلا من بنى أسد فأتي به خالدا وكان الرجل عالما بأمر طليحة فسأله خالد عما يعلمه عن طليحة

وموقع الغمير رابيــة تشرف على مياه بزاخة واسمه في الخريطة جبل الغمير ومنه ينصب وادي الغمير

ولعــل خالدا أرسل قوة الاستطلاع من هذا الموقع ليستكشف قوة العدو وموضعه وجيش المسلمين في موضع مسيطر. ولعل عكاشة وثابتا قتلا لما كانا يقومان بالاستطلاع فقتلتهما الطليعة التي أوفدها طليحة بقيادة أخيه سلمى فنصب كمينا لقوة الاستطلاع وباغتها ولما أطلع المسلمون على مقتل عكاشة وثابت هالهم الامر

ومن الروايات مايشير الى ان خالدا لم يزور عن طريقه كما تقدم من ذي القصة الي بزاخة الا بعد ان رأى الجزع المستولى علي أصحابه عند مقتل عكاشة وثابت فمـال بهم الى حي طيء وقال لهم (هل لـكم الى ان أميل الي حي من أحياء العرب كثير عددهم شديدة شوكتهم ؟ ولعل هذه الروايات ذكرت لتسويغ ازورار جيش خالد عن طريقه نحو بلاد طيء على ماأثبتناه فيما تقدم اذ لا يعقل ان يصيب المسلمون الجزع بمجرد ان يقتـل منهم فارسان والروايات ذاتها تذكر قتل عكاشة وثابت بيد طليحة وأخيه سلمى فمعنى انـ القتال

وقع بالقرب من بزاخة فيكون من الصعب ان يدبر خالد ظهره ويترك عدوه ويتجه نحو بلاد طيء بينما كان أهلها مترددين

والواضح من هذه الروايات أن خالدا قدر الموقف قبل مسيره من ذى القصة

القتال

رتب خالد جيشه فى حظر القتال وجعل الانصار والمهاجرين في الميسره ورجال القبائل في الميمنة ولعل أهل طيء كانوا في القلب مع بعض القبائل .

أما جيش طليحة فكان عيينة بن حصن مع سبعمائة فارس من فزارة في الصف الاول . وكان طليحة بن خويلد في القلب يشرف على القتال وفي أطرافه أربعون فتى من بنى أسد استماتوا في الدفاع عنه وكانت راية بنى أسد حمراء رآها المسلمون من بعيد .

وتدل الاخبار على ان القتال بدأ بهجوم الفريقين أحدهما عن الآخر فكان عيينة بن حصن يقود الفرسان أما حبال وسلمة أخو طليحة فكانا يقودان المجنبتين من جيش الاعداء

ويذكر الواقدى نقلا عن رجل من هوازن حضر قتال بزاخة ان المسلمين فازوا بالمعركة بفضل البطولة التى أبداها خالد بن الوليد .

ويقول الراوى ان ميمنة المسلمين ارتدت على أعقابها لما هاجمها الاعداء فأثر ذلك في الميسره فانسحبت بدورها فتدارك الامر خالد بحملته علي الاعداء ونداثه يا أنصار الله ! فحمس هذا النداء المتراجعين وكروا على الاعداء ملتفين حول خالد فتقاتل الفريقان بالسيوف فترجل خالد عن ظهر جواده وحارب راجلا ولما رأي أصحابه ان الخطر محدق به إلتمسوا منه ان يترك خطر القتال ويقف في الوراء ويقود الجيشان الا انه امتنع عن ذلك وفي رواية اخرى للكلبى ان المسلمين لما تراجعوا أتى رجل من طيء خالدا وكلفه بالاعتصام بجبلى سلمى وأجأ إلا ان خالدا رد طلبه قائلا انه يعتصم بالله

وبقى طليحة في القلب الى ان قتل فتيانه جميعا فانسحب الى الوراء وألتف بكسائه يتحين الفرص ولما ضاقت الدنيا بعيينة بن حصن سأل طليحة هل جاء الوحي؟ وهذا يقول له لا فيرجع يقاتل وفى الكرة الثالثة قال طليحة لعيينة ان الوحى

يقول له (ان لك رحي كرحاه وحديثا لا تنساه) فتأكد عيينة ان الدائرة تدور عليه فنادى يابنى فزاره انصرفوا فهذا والله كذاب فانصرفوا وانهزم الناس

أما طليحة فأعد فرسه وهيأ بعيرا لامرأته فوثب على فرسه وحمل امرأته ثم نجي بها ولما سأله قومه ماذا يأمر قال (من استطاع منكم ان يفعل مثل ما فعلت وينجو بأهله فليفعل)

ووقع عيينة اسيرا بيد خالد فكبله بالحديد وأرسله مخفورا الي المدينة وكان المرتدون قد تركوا عيالهم خلفهم في محل أمين لكى لا يسبيهم المسلمون لان العرف كان يقضى في ذلك الزمان بسبي النساء واتخاذهن إماء ولم تنتهي المعركة حتي عاد الكثيرون من بنى أسد وفزاره الي خالد وجددوا اسلامهم خشية على الذرارى.

واغتنم المسلمون غنائم كثيرة في معسكر الاعداء من جمال وحمير وسلاح وغير ذلك ولم يكتف خالد بهذه الغنائم بل أوفد السرايا الى جهات مختلفة لمطاردة المنهزمين وإلتقت بهم في جبل رمان فى جنوب جبل سلمى وفى الابانين على جانبي وادى الرمة وهما رابيتا أبان الاسود في شمالى الوادي

وأبان الابيض في جنوبه وأسرت كثيرين منهم وصادرت خيلهم وسلاحهم

ولما نشب القتال بين المسلمين والمرتدين في بزاخة كان بنو عامر بن صعصعة على الحدود يراقبون مجرى القتال وينتظرون العاقبة

وبعد ان انتهى خالد من أمر بني أسد وفزاره عرج على حي طيء ومكث بين اكناف سلمى وأجأ ولعله اراد بذلك ان يقرب من حي بنى عامر وينهي امرهم . هذه القبائل كانت في الارض الواقعة إلى شمال شرقى بلاد طيىء بين الدهناء وجبل شمر .

فأوفد بنو عامر وغطفان وفودهم اليه وجددوا إسلامهم بيد أن خالدا لم يكتف بذلك بل فرض عليهم جانبا كبيرا من السلاح جزاء ترددهم كما أنه جمع سلاحا من بنى اسد أيضا .

وكان للسلاح شأن كبير في هذه الحروب وكان المسلمون بحاجة اليه ليجهزوا به الجيوش وسبق أن أغنياء الصحابة فى عهد الرسول كانوا يجهزون المقاتلين للغزوات .

واحتفظ خالد بهذا السلاح ووزعه بعد ذلك علي رجال القبائل الذين أسرعوا بالانضمام الى جيشه كما وثقوا بالنصر

القتال في ظفر

تدل الاخبار علي ان خالدا لم يهمل الشاردين بل انه لما علم ان أم زمل سلمى جمعتهم حولها في ظفر وشجعتهم على المقاومة توجه فورا نحوها فقاتلها قتالا شديدا وهى واقعة على جمل امها أم قرفة تحمسهم على القتـال وقد اجتمع علي الجمل جمع من فرسان المسلمين فعقروه وقتلوها وقتل حولها جملها كما تذكر الرواية مائة رجل وكان قيام ام زمل وتشجيعها للناس على قتال المسلمين طلبا للثأر

المطاردة .

ورب منتقد يعتب على خالد إهماله المطاردة بعد انتصاره في بزاخة إذ كان في وسعه أن يطارد الاعداء ولا يمهلهم المقاومة مرة اخرى إلا أن العتاب ليس في محله لان القتال في البادية مع القبائل لا يشبه القتال في الحواضر فالقبائل بعد أن تغلب تنهزم الى جهات مختلفة بعد أن تترك وتلجأ حيها الى الاحياء القريبة وتستنجد بها ولا تقصد هدفا ترمي اليه . وكان خالد مضطرا الى البقاء

في بزاخة ليقبل اسلام المرتدين ويعاقب من مثل بالمسلمين منهم عملا بوصايا أبو بكر

وكان خالد قبل ذلك أوفد السرايا الى أنحاء مختلفة ليقضي على المتشردين فقاتلهم في جبل رمان على حدود طيء وقاتلهم في الابانين على حدود بنى سليم وقاتلهم في النقرة على حدود بني تميم فكل ذلك يدل على ان خالدا استثمر نصر بزاخة ولم يمهل المنهزمين بل طاردهم بكل شدة

ويقع موقع ظفر كما يذكر ياقوت الحموي بالقرب من حوأب وهذا على الطريق بين البصرة والمدينة وكانت عائشة قد تشاءمت من نباح كلابه لما رحلت من المدينة الي البصرة للاشتراك في واقعة الجمل ولعل موقع ظفر يبعد عن بزاخة مسافة مرحلتين وهو الي شرقي كهفه فالفلول الشاردة من بزاخة التجأت اليـه وكانت ام زمل تحرضهم على الاجتماع فيـه لمقابلة خالد .

فالمسافه بين بزاخة وظفر يجب أن تكون بعيدة بدرجة انها تساعد الفلول على الاجتماع مرة اخري للقتال

تقدم مسير خالد نحو البطاح

لقتال بنى تميم

البطاح : لا نعلم بالضبط المدة التى قضاها خالد في حى بنى أسد بعد أن انتصر على طليحة في بزاخة والمؤكد ان خالدا استثمر فوز بزاخة فقام بمطاردة فلول الجيش المنهزم ولما سمع ان بعض الفلول اجتمعوا في ظفر تحت راية ام زمل تقدم بجيشه اليهم وهزمهم شر هزيمة كما أشرنا الى ذلك فيما تقدم.

والظاهر من ذلك أن خالدا قضى أكثر من شهر في حي بنى اسد على أقل تقدير ولما استتب له الامر في نجدو تأكد معونة طيء ودان له بنو عامر وبنو صعصعة انتهز الفرصة ليتقدم نحو بنو تميم.

وكان بنو تميم من أقوى القبائل العربية بكثرة عددها وخصب أرضها وشدة بأسها وتنقسم القبيلة الى أربعة أقسام :

القسم الاول الرباب وهم من شعب ضبه وعبد مناف

القسم الثانى عوف والابناء ومقاعس وبطون وهم من شعب سعد بن زيد مناه

القسم الثالث بهدى وخضم وهم من شعب بنو عمر

القسم الرابع حنظلة ويربوع وهم من شعب بنى مالك

وكان الزبرقان بن بدر يترأس رباب وعوفا والابناء وقيس بن عاصم يترأس مقاعس والبطون وصفوان بن صفوان يترأس بطن بهدى وسبرة بن عمرو يترأس بطن خضم ، ووكيع بن مالك يترأس بنى حنظلة . أما مالك بن نويرة فيترأس بنى يربوع وهم فرقة من بنى حنظلة .

وكان بنو يربوع يسكنون أرض الحزن غربي الدهناء والحزن والصمان كلاهما ذو مراع خصبة يضرب بها المثل . وكان من حسن حظ المسلمين ان هذه الشعب والبطون لم تكن متصافية فيما بينها ويظهر ان الخصومة كانت متأصلة فيها قبل الاسلام . فصفوان وسبرة متفقان . أما قيس بن عاصم فخصم للزبرقان

وكان الزبرقان وصفوان يميلان الى المسلمين وينتظران المعونة منهم ليتفوقا على خصومها . أما قيس بن عاصم فكان مترددا ، وأما وكيع بن مالك ومالك بن نويره فتظاهرا بالعداء للمسلمين وكان العداء متأصلا في نفوس الرؤساء لدرجة ان

البطون والشعب كانت تتقابل .

ولما ظهرت سجاح اشتد هذا العداء وادعت سجاح النبوة في بنى تغلب في أرض الجزيرة بين دجلة والفرات وهي ترتبط ببني يربوع برابطة القرابة فجمعت حولها جموعا من بنى تغلب وبنى نمر وبنى إياد وبنى شيبان وتقدمت بهم الي بلاد بنى تميم ويدل مجري الوقائع على أنها ادعت النبوة قبل وفاة الرسول .

ماذا كانت تقصد سجاح بمسيرها جنوبا نحو بلاد تميم هل أرادت أن تمهد السبل لتأسيس مملكة بين العراق ونجد تضم فيها قبائل بنى تغلب والبعض من بطون بكر وبنى تميم ؟ أو أنها أرادت الهجوم على المدينة كما يروى سيف بن عمر ؟ ثم هل شرعت في المسير قبل وفاة الرسول أو ان وفاته شجعتها على المسير ؟ هذه أسئلة تصعب الاجابة عنها بصورة جازمة . والذى يلوح لنا أنها لم تكن تقصد لا هذا ولا ذاك ولعلها برزت بالكهانة وأحسنت السجع فالتف حولها الناس وأرادت أن تستغل نفوذها فسارت برجالها وكلما مشت كثر أتباعها حتى أدي بها المسير الى الدخول في أرض

بنى تميم . ومع ذلك فمن المحقق أنها بدخولها ديار بنى تميم أرادت أن تستفيد من القرابة التى تربطها بهم وهذه القرابة غير واضحة ومن الرواة من يزعم أنها تميمية من بنى يربوع وأخوالها من بنى تغلب ومنهم من يدعي أنها تغلبية وبنو يربوع أخوالها .

والواضح من اخبار الرواة انها دخلت بلاد بنى تميم بعد وفاة الرسول وكان دخولها مما زاد الشحناء بين رؤساء بنى تميم فأراد كل منهم أن يستغلها لمصلحته ، والغريب في أمر بنى تميم انهم لم يخضعوا لرئيس واحد أسوة بالقبائل الاخرى فكان لبنى أسد رئيس ولبنى حنيفة رئيس ولغطفان رئيس وهلم جرا .

والغريب في ذلك إن الفرق كانت تعيش مستقلا بعضها عن بعض وكانت تتقاتل بخلاف فرق القبائل الاخري. ولعل الداعى الي ذلك أنها كانت جسيمه لا يمكن لرئيس واحد السيطرة عليها ، وانها في بلاد جعلتها بمأمن من غزوات القبائل الاخرى فلم تر الفرق والبطون حاجة الي الوحدة

ويظهر ان مالك بن نويرة استطاع أن يستميل سجاحا

إلى جانبه لقرابتها منه وأراد ان يستغلها لمصلحته فيضرب بها الفرق المخالفة له ويرأس بنى تميم بالقوة أما هى فكانت تريد أن تستفيد منه للهجوم على المدينة ومال وكيع بن مالك رئيس بني حنظلة الي جانبه وهكذا مالت شعب بنى مالك الي جانب سجاح .

وكانت الشحناء قبل ذلك شديدة بين رؤساء بنى تميم كما نعلم . ولما ورد خبر وفاة الرسول عليهم أرسل بعضهم الصدقات الى المدينة وانتظر بعضهم ما يصنع البعض الآخر ويروى أن قيس بن عاصم رئيس مقاعس والبطون قال (واويلقا من ابن العكالية — يريد به الزبرقان — والله لقد مزقنى فما أدرى ما أصنع لئن انا تابعت ابا بكر وأتيته بالصدقه لينحرنها في بنى سعد فيسودنى فيهم ولئن نحرتها في بنى سعد ليأتين بها ابابكر فيسودنى عنده) فعزم قيس على توزيع الصدقات على مقاعس والبطون ففعل وعزم الزبرقان على الوفاء بارسال الصدقات الى المدينة وكانت النتيجة أن نشب القتال بين عوف والابناء من جهة والبطون من جهة أخري وبين الرباب من جهة ومقاعس من جهة أخري . وبين

خضم وحنظلة وبين بهدى ويربوع

ولما وصلت سجاح الى الحزن أرض بنى يربوع واتفقت مع مالك بن نويره والتحق بها وكيم بن مالك شرع مالك ينفذ خطته ليرأس بنى تميم فبدأ بقتال الرباب وعوف والابناء فلم يظفر بهم بل دارت الدائرة عليه وعلى سجاح فوقع وكيم اسيرا بيد الرباب. وارادت سجاح ان تجرب حظها مع بهدي وخضم من شعب بنى عمر فكان نصيبها الخيبة ايضا فلما لم تظفر بطائل تركت مالكا وانسحبت برجالها من بلاد بنى تميم وسارت الى اليمامة.

هذا هو الموقف حين كان خالد يجول ويصول في بلاد بنى أسد ولم يكن يجهله لذلك لم يكد ينتهى من أمر بنى أسد حتى تراه قد انتهز الفرصة وأمر جيشه بالمسير الى أرض بنى تميم دون أن ينتظر أمرا من الخليفة وهكذا نراه يستعمل ابداعه ويسير جيشه نحو البطاح برغم مخالفة الانصار له مدعين ان عهد الخليفة اليهم ان يقيموا بعد فراغهم من بزاخة الى ان يكتب اليهم. الا ان خالدا تقدم نحو البطاح قائلا لهم انه هو الامير واليه تنتهى الاخبار وان لم يأته أمر من

الخليفة فانه لا يريد أن يضيع الفرصة مادام مالك بن نويره حياله ، وشعب بنى تميم نافرة منه . لذلك لم يتردد خالد في الذهاب اليه من دون الانصار .

والواقع انمالك بن نويره بقي وحيدا بين بنى تميم لان صفوان بن صفوان كان قد ارسل الصدقات الى المدينة وكذلك الزبرقان ، اما قيس بن عاصم فكان عليه، وكذلك وكيع بن مالك لما سمع انتصارات خالد أرسل صدقات بنى حنظله إليه فبقي مالك حائرا ماذا يعمل وكان بالبطاح مع رجاله من بنى يربوع والبطاح أرض دون الحزن وهى ذات مراتع خصبة وفيها مياه كثيرة ، فالقصيبة والبريده من مواقعها

وندم الانصار على تخلفهم لانهم خشوا أن تصيب المسلمين مصيبة فيلاموا عليها ، فاوفدوا رسولا الى خالد يطلبون منه الاقامة الي ان يلحقوا به ، فأقام خالد حتي لحقوا به فسار الي البطاح والروايات غير متفقة في أمر مالك بن نويرة ومن الروايات ماتزعم ان مالكا قاتل المسلمين برجاله من بنى يربوع فقتل في القتال ومنها مايزعم انه لما

تأكد من الخيبة فرق رجاله وأمرهم بأن لا يقاتلوا المسلمين ورجع الى منزله ولما قدم خالد البطاح بعث اربع سرايا الى جهات مختلفة ، فرجعت السرية التي كان يقودها ابو قتاده الانصارى بمالك والبعض من رجاله .

ومن الروايات ماتزعم ان مالكا حارب السرايا التى أوفدها خالد فقتل ومنها ماتزعم انه وقع اسيرا في القتال فأمر بضرب رقبته مع الاسري الآخرين والبعض الآخر من الروايات تذكر ان خالدا اراد قتل الاسري بما فيهم مالك ، إلا ان أبا قتادة شهد انهم اذنوا وقاموا وصلوا ،فلما اختلفوا فيهم أمر خالد ان يحبسوا وكانت الليلة شديدة البرد، فأمر خالد مناديا فنادى ان ادفئوا أسراكم ، وكانت كلمة الدفء في لغة كنانة تعنى القتل فقتلهم الخفراء وقتل ضرار بن الازور مالكا .

وكان قتل مالك على هذه الصورة وتزوج خالد بامرأته ليلى بعد قتله بمدة قصيرة . وهذا مما جعل عمر ينقم علي خالد فطلب من ابى بكر ان يعاقبه على فعلته هذه فاضطر الخليفة الي استقدام خالد الى المدينة وطلب الايضاحات منه فلما

اقتنع ان خالدا لم يقصد قتل مالك اعاده الى جيش المسلمين وكلفه بالمسير الى اليمامه ليقاتل مسيلمة الكذاب .

الحركات في اليمامة

من الصعب التثبت من المدة التى قضاها خالد بن الوليد في البطاح حتى نعلم الوقت الذي تقدم بجيشه نحو اليمامة لمقاتلة بنى حنيفة . فيكاد اكثر المؤرخين من العرب يتفق على ان القتال فى اليمامة وقع في اوائل السنة الثانية عشر الهجرية . اما ابو بشر الدولابي واليعقوبى فيزعمان ان القتال وقع في شهر ربيع الاول من السنة المذكوره

فبدأ السنة الثانية عشر الهجرية يوافق شهر آذار (ابريل) سنة ٦٣٣ ميلادية . والذي نعلمه أن خالدا توجه من ذي القصة نحو بزاخة في منتصف شهر ايلول (سبتمبر) أو شهر تشرين الاول (اكتوبر)

وقضى خالد فى حركته نحو بزاخة اكثر من عشرين يوما يترقب أخبار طيء وبعد انتصاره على جيش طليحة بن خويلد مكث فى بنى أسد مدة غير قصيرة ليقبل اسلام

المرتدين ويجمع منهم السلاح . اضف الى ذالك قتاله في ظفر وانتظاره مجيء رؤساء بني عامر .

ويدعي المؤرخون ان مالكا بن نويرة قتل خطأ في ليلة شديدة البرد . وعلى مافي كتاب الطبري رواية عن سيف بن عمر ان الاسرى من يربوع حبسوا في ليلة باردة لايقوم لها شيء . والليالي الشديدة البرد في البادية تقع في أشد شهرى الشتاء بردا وهما كانون الاول (ديسمبر) وكانون الثانى (يناير) . إذن وقع القتل بين أواخر كانون الاول وأوائل كانون الثاني . فتكون حادثه البعوضه (١) وقعت بين شهرى شوال وذى القعدة فى السنة الحادية عشرة الهجرية .

يقينا ان خالدا قضى مدة غير قصيرة في البطاح وقضى وقتا فى ذهابه الي المدينة ملبيا دعوة الخليفة . ولما عاد منها لم يحرك جيشه نحو اليامة بمجرد وصوله الى المعسكر . بل انتظر مدة لورود النجدة التي أمد بها الخليفة جيش المسلمين .

---

(١) البعوضة اسم المحل الذي قتل فيه مالك بن نويرة

فيظهر من كل ذلك ان الحركة من البطاح نحو اليمامة وقعت في أوائل السنة الثانية عشر الهجرية — أي في ربيع سنة ٦٣٣ ميلادية في شهر آذار أو شهر نيسان (مايو)

ومن رواية رواها ابو هريره نستدل على ان سلامة بن عمير الحنفى كان يشجع بنى حنيفة على المقاومة بعد معركة عقرباء فينادى قائلا (يابني حنيفة قاتلوا عن أحسابكم ولا تصالحوا على شيء فان الحصن حصين وقد حضر الشتاء) ومعنى ذلك ان الحركات في اليمامة جرت في صيف الثالثه عشرة الهجرية — اى بدأت حوالي شهر مايو لسنة ٦٣٣ ميلادية .

منطقة الحركات

اليمامة مؤلفة من مقاطعتي العارض والخرج الحاليتين ، ومقاطعة الخرج من أخصب مقاطعات نجد ، فالماء مبذول فيها وهو على عمق بضعة أمتار تحت الارض . ولما كانت ارضا منخفضة تنصرف إليها مياه الامطار من الجبال والهضاب التي تحيط بها ومدينة اليمامة - العاصمة القديمة - واقعة فيها .

ويدعى كثير من الجغرافيين بان ارض اليمامة القديمة هى مقاطعة الخرج الحالية وهذه المقاطعة واقعة في جنوب شرقي العارض ويحدها من الشرق وادى حنيفة ، وعلى احدى شعبه اليمنى بنيت مدينة اليمامة . ولا تزال مقاطعة الخرج من أكثر المقاطعات النجدية نفوسا ، وفيها مراع خصبة وبساتين نخل كثيرة .

ويحد المنطقة التى جرت فيها الحركات من الشرق هضبة العرمة وهى الهضبة المرتفعة المشرفة على الدهناء ومن الغرب الا نفده الموازيه لسلسلة طويق . ومن الشمال مقاطعة القصيم والمنطقة جبلية تعد من اوعر مناطق نجد من حيث الوديان والمضايق والروابى والآكام

وتمتد جبال طويق في وسط المنطقة من الشمال الى الجنوب وهى حجرية كلسيه جرداء متموجة تتألف من سلسلتين متوازيتين وسفوحها الغربية منحدرة ، اما سفوحها الشرقية فقليلة الانحدار . ويبلغ ارتفاعها زهاء سمائة قدم على الهضبة الغربية . وتمتد الجبال من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى ، وتنكسر فى الوسط وتغير اتجاهها الى الجنوب فالجنوب

الغربي فتنتهي الي وادى الدواسر

وفي المحل الذى تنكسر فيه مجرى الوديان من الشرق الى الغرب وتصب في وادي حنيفة ، وهذه الوديان ضيقة وعرة فى محل الانكسار حيث ترتفع سفوحها الشمالية والجنوبية بانحدار شديد

وتتصرف مياه الامطار التى تهطل على الجبـال الي الشرق والغرب في الوديان والشعب فمنها مايصب في وادي حنيفه ومنها مايكون وادى الخفس وشعيب العتشى حيث ينصرف مياهها الى الدهناء ومنها ما يصب في مقاطعة الوشم ويسقى منخفضاتها ويكون واحاتها الخصبة . والشعيب التي يكون وادى الخفس ينبع من جنوبي ثادق ويجرى نحو الجنوب الي الحريملة ومنها يتوجه شرقا .

وهذا الشعيب ووادى حنيفه يقسمـان الجبـال الي سلسلتين: الغربية منهامرتفعةووعورة وهى طويق ، اما الشرقية فنخفضة ولطيفة الانحدار وهى روابى العارض فى الشمـال وجبل صلبوخ في الوسط والجبيل في الجنوب . واما وادى الحنيفة (وهو اعظم واد في هذه المنطقة فقد سميت القبائل

الساكنة على جانبيه باسمه . ومصدره في الارض الفاصلة بين العارض من جهة والمحمل والسدير من جهة أخرى . ويبدأ الوادى في ثنية اليمامة في شرق خشم الحيسية ، ويتكون من عدة شعب تجرى من الشمال الي الجنوب ومن الجنوب الى الشمال فيستمد الوادى ماءه منها فيجري من الغرب الي الشرق وفي جوار عقرباء حيث نشبت المعركة الفاصلة بين جيش خالد وجيش مسيلمة ، يغير الوادى اتجاهه فيجرى من الشمال الغربي الي الجنوب الشرقي في واد يضيق في بعض المحلات ويعرض في البعض الاخر وهو شديد الوعورة في الشمال وسهل المجرى في الجنوب ، وعلى حافتي الوادي شيدت القري والمدائن حيث استقيت المياه المنصرفة إليه وزرعت البساتين حولها . والوادى في هذا القسم يتغذى بعده شعاب ، ينصب اكثرها من السفوح الغربية

وفي محل انكسار سلسله طويق تصب فيه عدة وديان بحيث انها تغير اتجاهه في جوار السليمية واليمامة فيتوجه نحو الشرق فالجنوب الشرقى الى ان ينتهى في رمال الربع الخالي . وكان من وصايا ابى بكر الي خالد بن الوليد ان يأخذ

المحيطة عند الهجوم على اهل اليمامة . وكان الخليفة محقا في هذه الوصية لان اهل اليمامة سكان القرى المبنية في الوديان ضيقة وعلى سفوح الجبال الوعره بنوا دورهم بالحجارة وسوروا قراهم بالجدران . وانشئوا الحدائق بالقرب من قراهم وزرعوا فيها النخيل والاشجار واحاطوها بالحجارة ليمنعوا المارة من دخولها او ليعتصموا بها عند الحاجة

فاهل اليمامة اذن لايشبهون أهل البادية فى القتال فهم معتصمون بجبالهم المنيعة ، ومعتزون بقراهم المتينة وحدائقهم المستحكمة . ولاتزال آثار هذه القري ظاهرة في تلك الانحاء .

وهذه القرى كثيرة ومنتشره على طوار وادي حنيفه وفي مقاطعة الخرج وفى الوديان والمنخفضات والواحات .

ولا يخلو من الفائدة ان نقتبس هنا وصف المستر فلبى الذى تجول فى هذه المنطقة في صيف ١٩١٨ فدون مشاهداته في كتابه (البلاد العربية الوهابية) وقد وصف قرية الجبيلة الواقعة بالقرب من قرية (عقرباء) التي دارت رحي المعركة فيها بما يلي :

(والقرية الآن آهلة بعدد يسير من السكان البؤساء،

ومعظمها اطلال دارسة ومقابر الصحابة على ضفة الترعة المقابلة للقرية (الضفة اليسرى للوادى) وعلى مسافه نحو ربع الميل منها . وقـد يشاهد المسافر بقاعا متفرقة مغروسة باشجار الاثل (الطرفاء) تسرى على المرء الانقباض الذي يعتريه من إدامة النظر الي اللون الاغبر الذى لايتغير وهو اللون الدائم لتلك السهول الرسوبية المترامية التى سدت الوادى وبقرب الحي آبار كثيرة بعضها مطوى بالحجارة يستقى منه أهل الحي دائما . اما بيوت أهل الحي فمعظمها اطلال من اللبن بلا خشب وقد عبثت بها يد البلى ودرست آثارها بمرور الايام. اما ما بقى منها فلا بأس بحاله ويستدل منه على ان أهل تلك البيوت عنوا بصيانتها فدعموها بأعمدة حجرية مشيدة بالجص لتحمل علي متونها روافد السقوف وقـد شاهدت في دار منها وعاء مزدوجا كبيرا من الملاط المغطي بطبقة رقيقة من الصاروج (الجص) الاسمر لخزن التمور ، ولاتزال جدرانه ملوثة بعصارة التمر (الى ان يقول) ومعظم الجدران المبنية من الطين مؤزر الى ما يقارب نصفه بأيادات من الحجر الصلد مبنية على وجه الجدار بناء منحرفا

نوخوا فيها بساطة التزويق لاغير) : ويقول في وصف جبل طويق والهضاب التي يشرف عليها (اماما استدار من الارض حول تلك المنطقة فلم أجد في حياتي ارضا مثله فلم أعثر في ارباضه على شيء تنقبض له النفس فتجد امامك طريقا معرضا لمهاب الرياح خاليا من الظاهرات الطبيعية ضاربا في كافة الجهات على نمط واحد لانهاية له ، ولا يعترضه في ذلك التكوين الغريب سوى الحرف المطمئن المسمى جبل صلبوخ الواقع الى الشمال الشرقي ،)وعندما يبحث في اطراف عينه عاصمة آل بن معمر القدماء — وهي القرية الواقعة الى غرب عقرباء في واد ضيق — يقول :(اماربوع عينه التي اشتهرت من قديم الزمن بجمالها وخصبها فمنبسطة على جانبي المسيل شرقا وغربا نحو ميلين ، وقدأمست الآن قاعاصفصفا واثرا بعد عين ونبتت ادغال الاثل في البقاع التي وطئت أراضيها ومهد ثراها الفرس فسائل النخيل فيها ، اما البلد الاصلي أو الحالة التي كانت يوما موطنا لآل ابن معمر فلا تختلف عما كان حولها من الربوع الضاربة في صدر تلك المحلة الرحبة الا أن اطلالها الشاخصة قد شغلت بقعة وسيعة ويمر

عابر السبيل في تلك البيداء بين آوانه وأخرى باطلال البنيان القديم كالعمد المزوقة رؤسها . وفي كل ناحية من نواحي تلك المحله الوسيعه آبار نضب عنها الماء وهي مطوية بالحجارة وآجور عليها احواض مبنية بالصاروج . اما ضفاف المسيل فدعمة بأيادات كالمسنيات على أشد ماتكون من متانة البنيان عقدها أصحابها في وجه السيل من زمن بعيد لحبس المياه في بطن المسيل . فرحلوا عنها وتركوها وشأنها فعبثت بها يد الدهر فتداعت جدرانها وتقوض بنيانها المحكم ثم غدت ترابا فوق انقاض بالية وشاهدت في بعض تلك الجدران حجارة كبيرة من الصخر الصلد طول الحجر الواحد قدمان في عرض نصف قدم ، الي ان يقول (جزنا الاطلال وخرجنا من عينة الحربة وسلكنا طريقا تخترقه اشجار الاثلي في عنفوان نموها والمنتشرة في طول الارض وعرضها الي أن تنتهي في طرف المحلة القائمة في الناحية الغربية فولينا وجوهنا شطر المغرب صاعدين الوادي . فسار بنا الظعن يطوى صوحه صعودا . وعرض الوادي في أسفله (اي في عقيقة) نحو الميل . وكلما ارتقى الانسان صوح الوادى

وارتفع عن عقيقه ازداد انفراج الوادى إلى ان بلغ عرضه ميلين أو ثلاثة أميال ولما أرسلت رائد الطرف في ميمنة الوادى بدلى شعيب في منخفض الوادى ، وقد قيل لي أن هذا الوادي يأخذ في الصعود مرة أخرى إلى حوض عظيم كسيت جدرانه بالصاروج ويقع على سفح التل لحبس مياه الامطار والمثاعب المنحدرة علي جوانبه ولم يزل حتي الآن خزانا لرى حقول القمح المزروعة فى وسط الخرائب وهناك شعيب آخر الى يمين طريقنا يقال له شعيب عيينة ينحدر من الهضبة الضيقة الّتى تفصل وادى الحنيفة عن وادى سدوس)

قوات الفريقين

برغم كثرة الروايات التي تتناول حركات اليمامة والقتال في عقرباء نجد الغموض ظاهرا فى معرفة قوة الفريقين فالطبري يذكر نقلا عن سيف بن عمر ان القوة المحاربة لدى قبائل بني حنفية بلغت أربعين الفا . ولما ذكر أخبار السنة الحادية عشرة الهجرية نقل عن ذلك الراوى نفسه، وزعم ان القوة المحاربة بلغت عشرة آلاف اما ابن حبيش فيذكر في رواية نقلها عن

الواقدي مفادها ان قوة المسلمين بلغت اربعة آلاف ، وقوة بنى حنيفة ايضا بلغت هذا المقدار ذاته وفي رواية تسند الى سيف بن عمر يزعم الراوي ان عدد القتلى من بنى حنيفة بلغ عشرين الفا

اما المؤرخ الفارسي ميرخوندى فيزعم ان عدد القتلى في تلك الموقعة بلغ سبعين ألفا ، والذين قتلوا في حديقة الموت بعد المعركة سبعين الفا . ولعلك ادركت انه يصعب الوصول الي عدد يقرب من الحقيقة بين هذه الروايات التى تقدر قوة الحنفيين بين أربعة آلاف واربعين ألفا ، وعدد القتلى منهم بين عشرين الفا الى مائة واربعين ألفا .

ولكن الثابت ان مسيلمة جمع اعظم قوة لمقابلة جيش المسلمين ووضعها على الحد الفاصل بين بلاد حنيفة وبلاد بني تميم وترك القرى العامرة وراءه . وكان من مصلحة الحنفيين ان يجتمعوا تحت لواء رئيسهم للدفاع عن حيهم الذى تركوه وراء ظهورهم ويظهر من مجرى المعركة ان عدد القتلي في قوة الحنفيين كان كبيراً .

لقد قدرنا جيش بنى حنيفة عند البحث فى قوات الفريقين

بخمسة عشر الف مقاتل - بمعنى ان الحد الاقصى للقوة التي يستطيع الحنفيون سوقها لا يتجاوز العدد المذكور . والذى يلوح لنا ان القوة التي جمعها مسليمة في عقرباء تبلغ عشرة آلاف مقاتل

قوة المسلمين :

يروى الواقدي انجيش خالد بلغ أربعة آلاف مقاتل فى معركة عقرباء . وفى رواية اخري تسند الى عيسى بن سهل ان الجيش الذى تولى قيادته خالد لما خرج من المدينة كان يقوده اربعة آلاف مقاتل وهذا الجيش حارب في اليمامة. والذي لاريب فيه ان قوة جيش المسلمين بلغت أربعة آلاف مقاتل لما تركت البربدة وتقدمت نحو بزاخة وانضمت إليه قوات من بني طيء قبل المعركة ثم زاد هذا الجيش اسلام قبائل بني أسد وغطفان ولعل قوته بلغت اكثر من خمسة آلاف لما نزل في البطاح . ومن الثابت ان جماعات من بنى تميم انضمت إليه قبل ان يتوجه نحو اليمامة . وتروي لنا الاخبار ان الخليفة ابابكر أمد الجيش بقوات من المدينة لما

كان محتشداً في البطاح ، وأن خالداً سبق هذا الاصرار من المدينة وانتظر وروده من البطاح فجميع هذه الاخبار تدل على ان جيش المسلمين تضاعفت قوته بانضمام القبائل ووصول النجدة إليه قبل ان يتحرك من البطاح نحو اليمامة . وكان من البديهي ان تلتحق به القبائل متى اتصل بها خبر خيرات اليمامة ووفرة المغنم فيها . ويلوح لي ان قوة الجيش بلغت اكثر من ستة آلاف مقاتل قبل حركته في البطاح .

الموقف قبل الحركة

لبي خالد أمر الخليفة فذهب الي المدينة ليدافع عن عمله في قضيـة مالك بن نويرة ، وفي رواية لسيف بن عمر ان أبا بكر أرسل عكرمة بن أبي جهل الى اليمامة لما كان خالد يحارب المرتدين في بزاخة وأمده بقوة أخرى بقيادة شرحبيل ابن حسنة . والرواية تزعم ان عكرمة بدأ القتال قبل وصول شرحبيل فنكب . فأقام شرحبيل في الطريق حيث أدركه الخبر . وهـذه الرواية تؤيد زعم سيف في ان الخليفة قسم جيش المسلمين في ذي القصة إلي إحدي عشر فرقة وعين قائدا

لكل منها فوجهها الي مناطق المرتدين وقد سبق ان بينا فساد هذا الزعم . وفي رواية أخري ان شرحبيل ابن حسنة الذى تلقى أمرا من الخليفة بأن ينتظر ورود خالد ولا يتحرك بادر الي قتال مسيلمة قبل قدوم خالد فنكب وانسحب واذا صحت هذه الروايات يلوح لنا ان عكرمة بن أبي جهل كان يراقب اليمامة بقوة ساترة من المسلمين لما وقف خالد في البطاح . فوقعت مناوشات بينه و بين الحنفيين حبطت مساعيه فيها فانسحب اما شرحبيل بن حسنة فانه تولي قيادة جيش المسلمين عند ذهاب خالد الى المدينة فبدلا من ان ينتظر ورود خالد أسرع الى مقاتلة الحنفيين فانكسر .

ولما قدم خالد البطاح كان جيش المسلمين مرابطا فيها وكانت قبائل بنى تميم عرضت الولاء إلا البعض منها فالتجأ الى اليمامة وكان بنوطيء وبنو أسد وبنو غطفان وبعض بني تميم أمدوا جيش المسلمين بالمقاتلين .

أما مسيلمة فانه جهز عددا كبيرا من بنى حنيفة وتقدم شمالا يريد مقابلة جيش خالد . وتدل الاخبار على ان بعض الحنفيين كان يخابر المسلمين سرا ويطلع خالدا على موقف

مسيلمة ومن الروايات مايؤيد ان الحنفيين الذين حافظوا على إسلامهم تحفزوا للشغب على مسيلمة .

الطريق الذى سلكه خالد

هناك طريقان للتقدم من البطاح نحو اليمامة : طريق شرقى وطريق غربي . اما الطريق الشرقى فيتجه شرقا أولا ثم يمتد الي سفح جبل طويق الغربي متوجها الى الجنوب الشرقى مارا بالارض الجبلية ، وهو الطريق الذى يصل بربدة بالزلفي ثم يمتدالى المجمعة ومنها الى الحوطة فثادق فسدوس ، أما الطريق الغربي فيتوجه نحو الجنوب الشرقى فيمتد بين نفود السد ونفود الشقيقة الى ان يصل الي الشقرة عاصمة الوشم ومنها يمتد موازيا لسفوح جبل طويق الغربية فينعطف نحو الشرق ويتسلق الجبال ويمر بثنية اليمامة حيث ينبع وادي حنيفة في غربي عيينه فينتهى في عقرباء ويدخل اليمامة .

والذي يلوح لنا ان خالدا سلك الطريق الغربي لاجتيازه ارضا سهلة تجعل المدينة فى ظهره . اماالطريق الشرقى فيخترق ارضا جبلية وعرة . وقد تعرقل عليه المسير اذا اراد اهلها

المقاومة فضلا عن أنه طويل .

ومن الاخبار ما ينبيء بان طليعة جيش المسلمين باغتت بعض رجال مسيلمة في ثنية اليمامة — أى في عقبة الحيسية وهو المضيق الواقع الي شرق الحيسيان بين خشم الحيسية وخشم الخرشة وفيه تنقسم مياه الامطار فمنها مايصب الى الشرق ويجري في وادي حنيفة ومنها مايصب الي الغرب ويجرى في بطن الحوز .

ومن جملة الاسباب التى تجعل خالدا يميل الي سلوك الطريق الغربى قربه من قاعدة الحركات اي المدينة . فاذا مانكب الجيش يصل اليه المدد من خلفه ، واذاماتضايق يستطيع الانسحاب الي المدينة او الى مكة من بلاد أسد وغطفان ، أو من بلاد بنى عامر وهوزان . لذلك نجزم بان جيش المسلمين سالك ذلك الطريق في مسيره نحو اليمامة .

معركة عقرباء .

يقينا ان معركة عقرباء من المعارك الفاصلة التى ختمت دورا وفتحت دورا آخر فالمسلمون جمعوا أقصى قوتهم بقيادة أمهر قوادهم

والمرتدون حشدوا اعظم قوة في استطاعتهم جمعها في أوعر منطقة فجري المعركة يدل على الغاية التى كان يستهدفها كل من الفريقين .

فلو انكسر المسلمون ، لاسمح الله فى هذه المعركة لبقى العرب منزوين في جزيرتهم ، واحتفظ الاكاسرة بملكهم في العراق . ولم يبك هرقل ضياع سورية . فالنبى الكاذب أسود العنس الذى سيطر على اليمن مدة من الزمن قتل غيلة فلم يضطر المسلمون الى حشد قوة كبيرة للتغلب عليه . أما بنو أسد فلم يكن من الصعب التغلب عليهم لتفرق كلمة القبائل بيد ان في عقربا، احتشدت اعظم قوة من أمنع قبيلة في أرض مستحكمة وكان الناس يقاتلون عن حريم ويتفانون فى سبيل نبيهم

ولما انتهت المعركة بانتصار المسلمين انكسرت مقاومة المرتدين فى الاقطار الاخري . ولم يلاق المسلمون صعوبات في تمكين الاسلام من قلوب اهلها ، فخضعت البحرين ودانت عمان ومهرة بدين الاسلام وجددت حضرموت اسلامها وعادت اليمن الي حظيرة الاسلام : وكان من أثر

ذلك ان اجتمعت كلمة العرب فشمروا بقوتهم فبادروا الي الفتوح بقيادة رؤسائهم فاندفعوا كالسيل الجارف يثلون العروش ويقضون على امبراطورية الاكاسرة ودولة القياصرة فلم يمر بضع سنوات علي ذلك حتي كان العرب يصولون بخيولهم فى بلاد خراسان شرقا وبلاد المغرب غربا .

خطة خالد

لاشك في أن خالدا كان يقدر حرج الموقف في قتاله اهل اليمامة . وكان يعلم أنه على أمر يتوقف عليه نجاح الاسلام او خيبته . فالبلاد وعرة والقري فيها منيعة والناس ملتفون حول داعيهم متعصبون لحيهم وعددهم كثير وسلاحهم يضرب به المثل .

لذلك لم يقدم علي الحركة قبل ان تصله النجدة الموفدة من المدينة واراد أن يمهد سبيل الظفر بالتدابير السياسية وذلك : —

أولا : باستمالة التميميين في اليمامة الي جانبه .

ثانيا : بتفريق رؤساء سجاح عن مسيلمة .

ثالثا : باستخدام المسلمين من بنى حنيفة للمشاغبة على مسيلمة . والاخبار تدل على أنه ارسل الكتب الى التميميين ليتركوا جانب مسيلمة فوفق الي ذلك . كما انه ساق قوة خيالة لمقاتلة رؤساء سجاح الثلاثة وهم عقة وهذيل وزياد ، ففرق رجالهم واضطرهم الى العودة الي حى بني تغلب في الشمال . وان المسلمين من بني حنيفة ثاروا على مسيلمة وشاغبوا عليه ولعل عكرمة بن أبي جهل اراد ان يستفيد من المشاغبين فقاتل رجال مسيلمة فلم ينتصر وكانت الاخبار تأتي خالدا وتنبئه بما في اليمامة .

اما خطته العسكرية فكانت ترمى الي الزحف الى اليمامة على أقصى طريق والهجوم علي جيش مسيلمة اينما لقيه .

عاد خالد الى المدينة بالبطاح في اوائل السنة الثانية عشرة الهجرية وكان الجيش مجتمعا فيها ينتظر أمر الحركة وقضى خالد مدة قصيرة في البطاح يترقب ورود المدد من المدينة فكانت القبائل تمد جيشه برجالها فالتحق به رجال بنى اسد وتميم وبنى عامر وكانت الاخبار ترد اليه من اليمامة

منبئة باحوالها وآخر من وصل اليه ابن عمير اليشكري فاطلع خالد على جلية الامر في اليمامة .

ساحة القتال

اختار مسيلمة موقع عقرباء لجيشه وهذا الموقع على الحدود الفاصلة بين اليمامة وبلاد بني تميم وهو مفتاح لموقع من اخطر المواقع السوقية بين مقاطعة العارض ومرتفعات المحمل وجبل طويق .

وبالقرب من هذا الموقع تقوم قرية جبيلة الحديثة وقد بحث فيه (فيلبي) في كتابه الآنف الذكر قال :

« وإذا تأملت الوادي (أى وادى حنيفة) عند جبيلة وجبيلة هذه أحد منازل بني حنيفة من قديم الزمن واليهم نسب الوادي وفي سمائه ارتفع لواء صيتهم فسمي بوادي حنيفة لالفيته وهدة من الارض قريبة القرار واسعة الجوانب تكتنفها المهابط المطمئنة الجرداء من كل حدب وصوب وللوادي عقيق يضيق شيئا فشيئا حتى تراه قد غاص في بطن حجرى نشزت على ضفافه الطنوف الشواخص على النحو

المتقدم وصفه فالقرية أذن مفتاح لموضع من أخطر المواضع السوقية وأعظمها شأنا واقعة بين مساكن المعارض ومرتفعات المحمل وطويق وقبل في هذا المكان وقعت معركة فاصلة من معارك التاريخ الاسلامى دارت فيها رحي القتال بين أصحاب النبي وبعض المؤمنين من رجاله وبين مسيلمة نبي حريملة الكذاب وقواته وكان النصر فيها حليف المسلمين بعد أن خسروا آنئذ في سبيل دينهم القويم نحو سبعين من نخبة الصحابة وهم الرجال الخلص الذين اصطفاهم النبي فاودع في صدورهم تعاليمه ... الى أن قال :— لاتزال قبور الصحابه الذين استشهدوا في تلك المعركة ظاهرة إلى يومنا هذا مهجورة في منبطح من غرين نهر عميق صفى ماؤه واقع على مقربة من القرية وقد رأيت القبور أيام زيارتى لها ومرورى بها وقد بليت وتحاتت بتأثير الزوابع وفعل الاعاصير وقد نجم عن ذلك أن تفتحت جوانب الكثير منها فظهرت فيها ثغر فاغرة افواهها نحو الوادي ولم يزد ارتفاع الرسوب الغرينى على ثلاث أو أربع أقدام فوق القبور فلنا أذن من ذلك أحد الامرين .

أما أن تكون دفائن تلك القبور أحدث مما يزعمون وأما ان الغرين قد رسب من قبل فى المكان الموجود الان فيه وبات مستواه على ماهو عليه بطبيعة الحال قبل معركة جبيلة ولا غرو فى أن الامر الثانى هو الافتراض المحتمل وقوعه

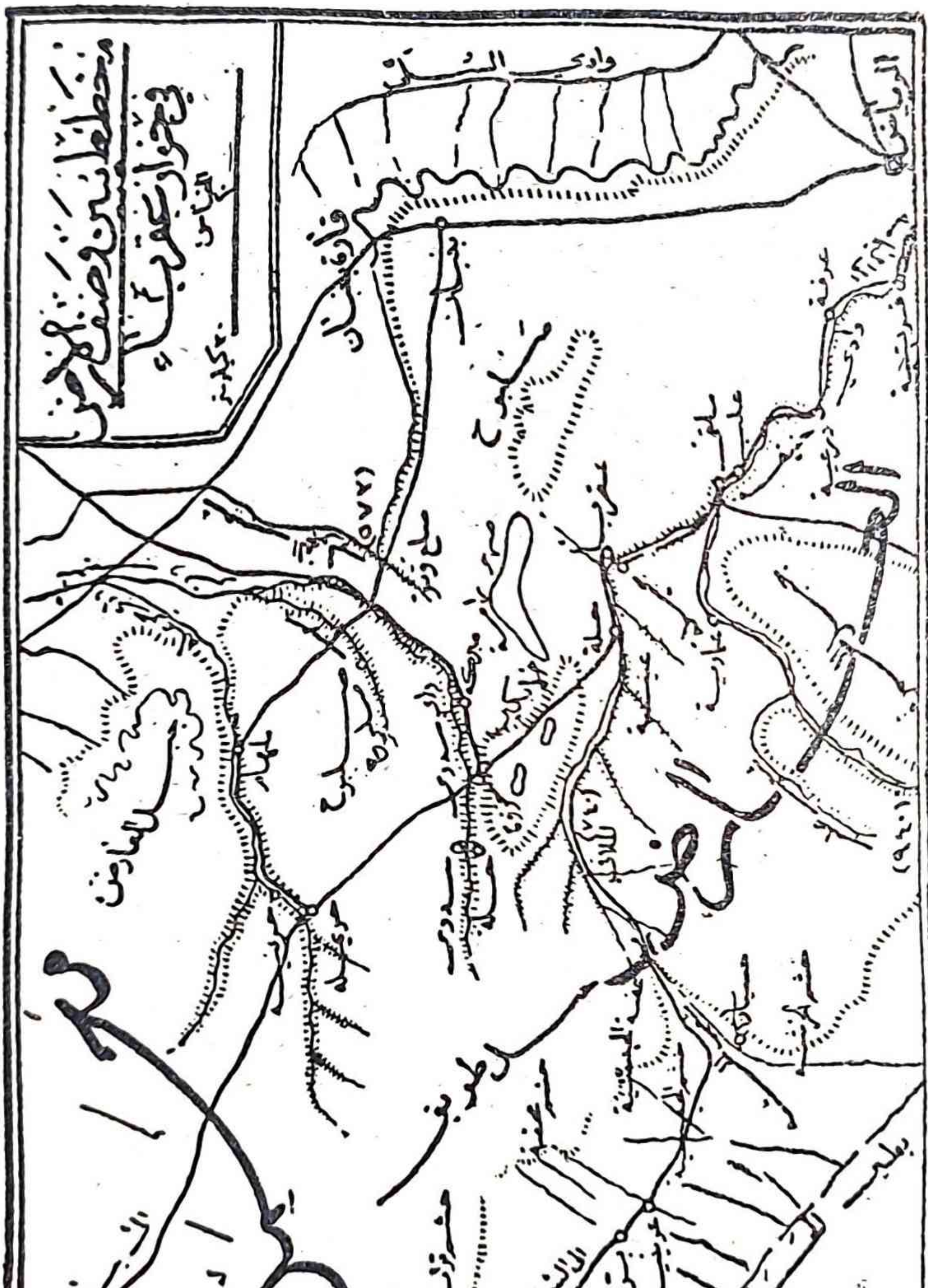
وصف الموضع :

يظهر من مطالعة الخريطة أن المحل الذى اختاره مسلميه لقبول المعركة واقع فى جنوب العقدة التى تتشعب منها الجبال وتمتد في جهات مختلفة وتشرف علي رؤس الوديان المتدفقة من أرجائها والتي منها ما يجرى نحو الشمال ويغذي وادى الخفس والتى منها مايجرى نحو الشرق ويغذى وادى حنيفة ، ومنها مايجري نحو الغرب ويغذى بطين الحور وقد اجتمعت قريتا عينة وسدوس وجبيلة حول هذه العقدة وتعلو في وسطها رابيتا الابكين . الرابية الغربية والرابية الشرقية ، والغربية أعلى من الشرقية إذ يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر (٣٢٠٠) قدم وعن وادي حنيفة الذى يجرى في جنوبيها ٢٠٠ قدم وفى شرق الابكين جبل رامه يمتد

من الغرب إلي الشرق وهذا الجبل مع جبل الابكين يفصلان بين شعيب سدوس ووادى حنيفة فالشعيب في الشمال ينبع من غربي سدوس ويجرى نحو الشرق فيترك على ضفافه سدوس وحزوه ، ويلتقي بشعاب كثيرة أخرى تصب جميعا في وادى الخفس . والوادي الثاني يجرى في الجنوب .

وإلي شرق جبيلة يرتفع جبل صلبوخ . فكأن الجبال الثلاثة ـ الابيكين ورامه وصلبوخا ـ متصل بعضها ببعض ومحيطة بوضع جبيلة كالقوس

ويصف المستر فلبى المنظر قرب الابكين فيقول :
(وقفنا نتأمل بطحاء طويق الفسيحة الارجاء ، فألفينا مشهدها رائعا مهيبا وتتخللها الهضاب المتموجة والاوديه السحيقة . وانا لكذلك إذ لاحت مني التفاته الى الشمال فشاهدت على مسافة ميلين من بسطة أرضا إنطوي تحتها واد فسيح تحدرت جوانبه وانقطمت مجامعه عند حوض الخفس الواقعة فيه واحة سدوس ـ تلك الواحه الغضة الرائعة المشهورة بجمالها الفتان كنا نراها ونرى فيها كل صغيرة وكبيرة ونحن واقفون في مكاننا كانها أمامنا على مقربة منا ، ولكنها



ويا للأسف لم تكن على استقامتنا ، فشق على زيارتها لبعد طريقنا عنها وقد شاهدت بساتين النخيل ممتدة علي طوار الينبوع الدافق مسافة ميل تقريبا في عرض قدرت معدلة بين ٢٠٠ ، ٣٠٠ يارده» إلي أن يقول « ورأيت على مدي البصر إلي الجهة الشمالية الشرقية نجف مرتفعات العرمة وقد بدت بلون أدكن ، ونظرت الى الشمال الغربي وادى حريملة وهو فرع آخر من فروع حوض الخفس وقد انفصل عن فرع سدوس بجرف متسع المتون مرتفعها ، ورأيت في الجهة الجنوبية الغربية صدع جرف طويق فبدت من موضعه عقبة الحيسيه (١) والى الجنوب وراء خط وادي الحيسية وجرف الملاقى تمتد ظهور طويق العريضة في الفضاء الاغبس الفسيح

وعندما يبحث في ثنية اليمامة يقول . « وبعد سير سبعة اميال (على موازة الابكين) وصلنا إلى عقبة الحيثية المعتبرة منبع وادى حنيفة ، فوجدنا اشجار السنط منتشرة حولها وكان ارتفاعنا عن مستوى سطح البحر في هذه البقعة نحو (٢٣٠٠) قدم ، وكانت المسافة بيننا وبين البطين (بطين الحور) نحو ٤٦٠ ميلا . وقد استطعت ان اشاهد من هذا

المكان وادى حنيفة بأسره آخذا الى الجنوب حتى اليمامة ، وهذا بون شاسع يربو طوله على مائة ميل ، وتأخذ فيه الارض في الانخفاض تدريجيا الى ان يبلغ (١٩٠٠) قدما. ولم اجد عند الصبب من المناظر الطبيعيه ما يحملني منها على الاطناب فى الوصف ، وشاهدنا هناك الارض امامنا وقد انحدرت بهيئة مثلث فسيح الارجاء ، ضلعاه لهبان منفرجان من حرف طويق منته طرفاهما بانفين بارزين احدهما خشم خرشة فى الجنوب ، والاخر خشم الحيسيه فى الشمال ، وتمتد بين هذين الانفين قاعدة المثلث بشكل جناح ناشز من الحجارة الرمليه الجرداء المغراء يسمونه المرقى في جانبه الابعد يهبط شديد الانحدار ينتهى الي وادى البطن اما صدر شعيب هشه فهو فى منبعه يتغلغل صببا بين جدران منهمرة متموجا في عميق ضيق ، ثم يأخذ بعد حين في الاتساع علي متون المنحدرات حتى اذا بلغ الحاشيه الغربيه من جناح المرقي ينفرج فى بطن المحله الخصبه ثم ينثنى فيجد له مسيلا في خلال الحواجز الصخريه فيتسرب منها الى وادى البطين وعلى نحو اربعة أميال من منبع وادي حنيفه

نجد ما بقي من اثار ديار الهشه ، وهي لا تتعدى بعض بساتين النخيل المتفرقه وثلاث آبار دائمة المياه ، اثنان منها مطويتان بالحجارة غزيرتا الماء ، دائمة الورد ، يبلغ عمق كل بئر منها نحو قامتين ، ويظهر لون الماء عند استقائه من البئر أطحل بتأثير الطبقة المتحجرة المستوطنه قرار البئر ، واذا ترك الماء وشأنه قليلا ركد فيه الغرين فصفا وراق . وطعمه لذيذ عذب جدا . وينفرد آل قحطان بالاستفاده من هذا البئر » الى ان يقول . « وليس في عقبة الحيسية صخور حرشاء تقف عثرة في سبيل الابل ، وربما كانت اسهل العقباب طريق مسلكا ، اذا فضلت علي غيرها بأتخاذها طريقا للحج ، وهو الطريق الذي سلكناه لما غادرنا الرياض من حيث ينحدر هذا الطريق من الضرمة »

الحركة من البطاح الى اليمامة

وبعد ان اجتمعت قوات المسلمين في البطاح وأطلع خالد على موقف الحنفيين قرر التقدم نحو مسيلمة وكان قبل ذلك قد رتب جيشه فكانت نواته على ما نعلم الانصار

والمهاجرين والقبائل الضاربه بين المدينة ومكة . فقسم الجيش الى فرق فرقة من الانصار وفرقة من المهاجرين وألفت كل قبيلة فرقة وناط بابى حذيفة وزيد بن الخطاب قيادة المهاجرين وبثابت بن قيس وبر بن مالك قيادة الانصار أما القبائل فكانت بقيادة رؤسائها ويروى ابو بشر الدولابي في كتاب التاريخ أن معركة عقرباء وقعت في شهر ربيع الاول للسنة الثانية عشر الهجرية وأول هذا الشهر يقابل اوائل شهر أيار سنة ٦٣٣ ميلادية وتبلغ المسافة بين البطاح وعقرباء زهاء ٣٥٠ كيلو مترا أى سير عشرة أيام بجيش كبير على أقل تقدير. فيظهر من ذلك أن خالدا ترك البطاح في نهاية شهر نيسان أو في أوائل شهر آيار فكانت خطة خالد ترمى الى الزحف توا إلي اليمامة على ان يهجم علي جيش مسيلمة اينما لقيه . وكان يعلم أن مسيلمة متأهب للمقاتلة على حدود بلاده لذلك قدم أمامه مقدمة من بنى طىء بقيادة عدى ابن حاتم وعين لها فرات بن حيان دليلا وسلك طريق الوشم نحو الشقره وأرسل إلى الامام مكتف بن زيد الخيل وأخاه ليتجسسها الاخبار ولم يشأ ان يترك خط الانسحاب معرضا للخطر

لذلك أقام سليطا مع قوة في البطاح ليؤدوا ردءاً له من القبائل وتزعم الرواية أن أبا بكر مد خالدا بسليط ليكون ردءاً له لئلا يأتيه أحد من ظهره

أما مسيلمة فلما علم بمسير خالد نحوه تقدم بجيشه من اليمامة نحو الشمال وعسكر في عقرباء بجميع قواته منتظرا ورود جيش المسلمين متأهبا للمقاومة الشديدة وكانت أخبار انتصار المسلمين على أهل الرده قد سبقت جيش المسلمين فألقت الرعب في قلوب الحنفيين وتقدم جيش المسلمين علي الطريق المذكور وكانت المقدمة تسبقه وتستطلع الاحوال.

فوصلت المقدمة مساء الى القرب من ثنية اليمامة ولقيت مفرزة من بنى حنيفة نياما في أسفل العقبة فباغتتهم وأسرتهم وكانت هذه المفرزة مؤلفة من ستين رجلا بقيادة مجاعة بن مرارة أحد رؤساء بني حنيفة ؛

والروايات جميعا متفقة على ان مجاعة خرج من اليمامة علي رأس سرية يطلب بثأر له في بنى عامر وبنى تميم لأن بنى عامر منعوه من أن يتزوج خولة بنت جعفر. وبعد أن باغت بني عامر عاد بخولة ووقف في أسفل العقبة مع رجاله

ليبيت ليلته هناك واذا المسلمون يباغتونه ويقودونه هو رجاله أسري الي خالد .

والذي يلوح لنا ان مجاعة كان يراقب مجيء جيش المسلمين من الثنية - أي عقبة الحيسية . ويظهر ان قوة المسلمين باغتته دون أن يستطيع التخلص منها فلما وقف أمام خالد زعم أنه خرج للثأر

وتزعم الروايات ان خالدا قتل رجال مجاعة لتأكده كفرهم واستبقى مجاعة ليستفيد منه في حركاته علي مسيلمة فياترى هل تواطأ مجاعة مع خالد على مسيلمة أو أنه تأكد نصر المسلمين فأراد أن يسوغ موقفه أمامهم فعرض الخدمة على خالد ؟ أو أنه خرج برجاله ليلتحق بجيش المسلمين فيدلهم علي عورات أعدائهم ؟ ذلك لا نعلمه العلم الاكيد والمحقق ان مجاعة كان محجورا عليه في معسكر خالد وتم بالوساطة بين خالد وبنى حنيفة ليعقد الصلح بعد انكسار جيشهم في عقرباء ، فأفاد الفريقين بتلك الوساطة

ولا بد ان خالدا استجوب مجاعة فاستقى منه جميع الاخبار الموثوق بها عن مسيلمة وجيشه فعلم منه أن مسيلمة ينتظر وروده فى عقرباء

في رواية نقلها ابن حبيش ان خالدا لما تثبت من عسكره جيش مسيلمة في عقرباء شاور أصحابه في الامر فأشاروا عليه جميعهم أن يتقدم نحو عقرباء وكانت الاخبار تنم على ان طليعة الحنفيين يقودها الرحال وهو من رؤساء بنى حذيفة فتقدم خالد حينئذ بجيشه نحو العدو فجعل أبا حذيفة علي الميمنة وشجاع بن وهب على الميسرة وكان زيد بن الخطاب يحمل راية المهاجرين وثابت بن قيس يحمل راية الانصار وعزل خالد برا بن مالك من قيادة الخيالة واحل محله أسامة بن زيد

أما جيش مسيلمة فكان موليا وجهه شطر الشمال الغربى ومترقبا في سهل عقرباء بين جبل صلوخ ووادى حنيفة فيستدل من ذلك على ان الارض كانت صالحة لاتخاذ نظام القتال ولحركة الخيالة وتنم الروايات على أن ريحا جنوبية مغبرة هبت في وجه المسلمين وزحزحتهم عن مكانهم في القتال — أى ان جبهة المسلمين كانت موجهة نحو الجنوب الشرقي — ويظهر ان قوة الرحال انسحبت لما رأت المسلمين قادمين

نحوها . وكان جيش مسيلمـة مرتبا على الاسلوب الشائع ومنقسما الى ثلاث اقسام :

الميمنة والميسرة والقلب ـ ولم يكن الضمن خلفه لان قرى بنى حنيفة كانت في الخلف على مانعلم .

وكان محكم بن طفيل ـ وهو من أجل رؤساء بنى حنيفة شأنا على الميمنة والرحال على الميسرة وشرحبيل بن مسيلمـة يقود القلب فكان مسيلمة وراء القلب يراقب مجرى القتال

وبعد ان قضي المسلمون ليلتهم في عقبة الجيسية ـ أى ثلية اليمامـة ـ واستوثق خالد من أمر مجاعة تحرك الجيش صباحا وكانت الشقة بينه وبين عقرباء مسير يوم . وفي رواية نقلها الطبرى ان الموقع الذى باغت المسلمون فيه مجاعة بن مرارة يبعد عن عسكر مسيلمة مسير ليلة . والحقيقة ان المسافة بين العقبة وعقرباء لا تزيد على خمسة وعشرين ميلا ــ أى مسير يوم في ذلك الزمن .

والظاهر ان خالدا قضى ليلته التي سبقت يوم المعركة قريبا من جيش مسيلمة لان المعركة بدأت صباحا واستمرت

الى العصر . وكان الموقع الذي اختاره كثيبا مشرفا علي اليمامة كما ينقله الطبري .

وسبق ان رأينا من وصف فيلبي لرابيــة الابيكين انها تشرف علي وادي حنيفــة وتتسلط على الارض الممتدة الى الجنوب فالارض في الشمال تتسلط على الارض في الجنوب ، وكان لوضع الارض على هذه الصورة فائدة لجيش المسلمين.

وليس لدنيا معلومات عن تعبئة المسلمين في ميدان القتال وتدل الاخبار علي ان أبا حذيفة كان يقود الميمنة وشجاعا الميسرة ويزيد بن الخطاب القلب وأسامة بن زيد الخيالة . فهل كان كل من المهاجرين والانصار على مجنبة من المجنبتين وكانت القبائل في القلب ؟ أو ان المهاجرين والانصار كانوا في القلب وكانت القبائل في المجنبتين ؟ أوان المهاجرين كانوا في القلب مع قبائل الحجاز وكان الانصار على احدي المجنبتين وكانت قبائل البادية في المجنبة الاخرى ؟

هــذه أسئلة تصعب الاجابة عنها والواضح من مجري القتال أن أحدى المجنبتين (ولعلها الميسرة) انهزمت فتلاها القلب ووصل الى الخيام في الضعن. وان أهل القرى ـ المهاجرين

والانصار وأهل الحجاز - عزوا هذه الهزيمة التي كادت تقضي على المسلمين الي أهل البادية . فلنا من ذلك ان أهل البادية كانوا في الميسرة وكان المهاجرون مع بعض قبائل الحي في الميمنة والانصار مع البعض الآخر من قبائل الحجاز في القلب . ويظهر ان الخيالة كانت في الامام فانسحبت الي الميسرة لتراقب الوادى وكان الضعن وراء القلب وفيه الخيام والنساء ووقف خالد بن الوليدوراءالقلب يراقب سير القتال .

صفحات القتال

نشبت المعركة صباحا واستمرت الي العصر فبذل الفريقان قصاراهما لتغلب أحدهما على الآخر واقتتلا اقتتالا شديدا وكما يقول الطبرى كانت حربا لم ياق المسلمون مثلها قط .

وجرى القتال في ثلاث صفحات : تغلب الحنفيون في الصفحة الاولي على المسلمين وازاحوهم الى الضعن وكادوا ينتصرون عليهم . وفي الصفحة الثانية كر المسلمون راجعين فتغلبوا على أعدائهم فازاحوهم من المحل الذي وصلوا اليه

وبعد ان تضافرت جهودهم استطاعوا ان يهزموا الحنفيين وفي الصفحة الثالثة اعتصم الحنفيون في الحديقة فحاصرها المسلمون من كل صوب ودخلوها عنوة وقضوا على البقية الباقية من الحنفيين

ونذكر فيما يلي مجري القتال في كل صفحة من الصفحات الثلاث

الصفحة الاولى .

بدأ القتال صباحا بتحميس القواد رجالهم بالكلمات المأثورة والخطب الحماسية . فنادى شرحبيل بن مسيلمة في رجاله قائلا : (يابنى حنيفه اليوم يوم الغيرة ، ان هزمتم تستردف النساء سبيات وينكحن غير حظيات . قاتلوا عن احسابكم وامنعوا نساءكم)

وكان في أول القتال براز من الفريقين كما جرت عليه عادة العرب ، فقتل في هذا البراز الرجال بن عنفوه الذى كان في طليعة الحنفيين قبل القتال . وكان على الميسرة قتلة زيد بن الخطاب .ويظهر أن رؤساء آخرين من بنى حنيفة قتلوا في البراز مما حمل الطبرى على القول

« قتل الرجال وأهل البصائر من بنى حنيفة » وبدلا من أن يوهن هذا القتل عزائم بنى حنيفه شدد عزيمتهم فتذامروا وحمل كل قوم في ناحية . ويلوح من مجري القتال ان الضربة كانت قوية من الجانب الايمن على ميسرة المسلمين فزحزحتها من محلها وتراجعت منكسرة لا تلوي على شيء .

فأثر ذلك فى موقف القلب . فرجع متقهقرا وبنو حنيفة يطاردونه الى ان وصلوا الى المعسكر فقطعوا اطناب الخيام .

ومن الروايات مايزعم ان ريحا جنوبية مغبرة هبت في وجوه المسلمين فضعضعت صفوفهم واستفاد بنو حنيفة منها فهزموا المسلمين حتى أزاحوهم من محلهم وطردوهم من المعسكرات فدخلوا في الفسطاط فرعبلوه بالسيوف

والروايات متفقة على أن بعض الاعداء دخل خيمة خالد بن الوليد وكان فيها مجاعة مكبلا بالحديد قيد مراقبة أم تميم التى تزوجها خالد بعد قتله مالك بن نويره فاراد الحنفيون انقاذ مجاعه فهموا بقتل أم تميم الا أنه منعهم من

ذلك فقال لهم « لا تتشاغلوا في المعسكر ، ودونكم الرجال » ففي مثل هذا الموقف الحرج برز خالد الى الميـدان شاهرا حسامه تشجيعا للمسلمين ومناديا بشعار « يا محمداه ! »

ويكاد المؤرخون جميعا يتفقون على أن خالدا بفراسته وبطولته انقذ الموقف . ولولا قيادة خالد وجلادة الصحابة الذين لقوا حتفهم بعد أن ظهروا للمسلمين أمثلة حسنة ، لدارت الدائرة علي المسلمين ، ولاريب

الصفحة الثانية

تبدأ الصفحة الثانية بدعوة الرؤساء من المسلمين إلى الثبات في محلهم والكر بعـد ذلك على الاعداء فثـابت بن قيس الذى كان يقود الانصار كان ينادى الأنصار قائلا: « بئسما عودتم أنفسكم يامعشر المسلمين ، هكذا عنى حتى أريكم الجلاد » وقال زيد بن الخطاب الذي كان يقود القلب حين انكشف الناس عن رحالهم أى المعسكر « لا تحوز بعد الرحال » وقام البراء بن أنس بن مالك ينادى قائلا « انا البراء بن مالك . هلموا الي » أما ابو حـذيفة الذى

كان يقود الميمنة فكان ينادى قائلا : يا أهل القرآن ازينوا القرآن بالفعال»

وفي مثل هذا الوقت العصيب تدبر خالد الموقف ففكر في حيلة يعيد بها نخوة المسلمين ، ويزيد حماستهم ولا سيما لما رأى أهل القرى يجبنون أهل البادية وهؤلاء يجبنون أهل القرى .

وتكاد الروايات جميعا تتفق على أن القبائل من أهل البادية انهزموا أول مرة فالقوا الوهن في صفوف المسلمين

والظاهر من نتائج المعركة أن أهل القري ثبتوا (فاستحر بهم القتل) كما يذكر الطبرى وكان التدبير الذي توصل إليه خالد لينقذ الموقف ويتغلب على عدوه منحصرا في أمرين

أولا : فصل أهل القرى عن أهل القبائل ووضع كل فريق منهم في جانب فكان الانصار والمهاجرون وأهل القرى الاخرون في جانب والقبائل في جانب آخر لان إنهزام المسلمين أوقع الخلل في ترتيب المعركة فاختلطت الميسرة بالقلب والقلب بالميمنة وتخلى الناس عن رؤسائهم

ثانيا : طلب من كل جانب أن يمتاز وذلك لما رأى أهل

القرى يعزون سبب الخيبة الي القبائل والقبائل تعزو الخيبة إلي أهل القرى وفي هذا تناحر لدى الفريقين وإذا ما اشتد التناحر ليؤدى إلي التقاعس .

فصرخ فى المسلمين طالبا منهم أن يمتازوا ليتبين من أين يأتي الخلل وكان يريد بذلك أن تبرز الفرق فلا يذهب اليها ذلة الانكسار ونال بذلك ما أراد . فامتاز اهل القري والبوادى وامتازت القبائل من اهل البادية

فوقف بنو كل أب على رايتهم كما يذكر الطبري فتولى خالد بنفسه قيادة صفوف اهل القري فقاموا جميعا قومة واحدة فقاتلوا قتال الابطال وكان خالد في أول الصف يشجع المسلمين ببطولته ولا يقابله احد الا قتله وكان يفتش عن مسيلمة ليقتله لانه عرف أن الحرب لاتركد الا بموته وأن بنى حنيفة لا تحفل الا بقتله وكان من أمر ذلك أن تشجع المسلمون فصدوا العدو

ويذكر الواقدى ان زيد بن الخطاب كان يحمل راية المسلمين فلما رأى اصحابه ينصرفون من اطرافه قال :(والله لا اتكلم اليوم حتى نهزمهم أو ألقى الله فأكلمه بحجتي ،

عضوا على اضراسكم ايها الناس واضربوا في عدوكم وامضوا قدما) ولم يزل يشجع اصحابه الي ان قتل والراية في يده ، فأخذها ابو حذيفة فجادل بسيفه حتى قتل . اما ثابت بن قيس فكان يحمل راية الانصار فنادى في قومه (العزة لله ولرسوله ولاحزابه . أروني كما أريكم) ثم جلد في الاعداء وقاتل حتي قتل وتسلم راية المسلمين سالم مولى ابي حذيفة ، وظل يناضل عنها الى أن قتل ، فتسلمها آخرون وقتلوا

وازاء هذه الجهود المتضافرة والامثلة المشجعة تمكن المسلمون من أن يزحزحوا الاعداء من مكانهم حتى أزاحوهم تماما ، فأخذوا يطاردونهم ، وفي مثل هذا الحين أخذ محكم بن الطفل المدعو بمحكم اليمامة يشجع بني حنيفة مناديا :

(يامعشر بني حنيفة ، الآن والله تستحقب الكرائم غير رضيات ، وينكحن غير حصينات فما عندكم من حسب فاخرجوه) فقاتل قتالا شديدا .

أما أهل اليمامة فلما رأوا المسلمين يركبونهم صرخوا في وجه مسيلمة قائلين له . «أينما كنت تعدنا ؟» فأجابهم قائلا: «قاتلوا عن أحسابكم» ولما رأى المحكم ان الدائرة دارت علي

بني حنيفة صاح فيهم : الحديقة الحديقة ! يريد بذلك أن يتحصنوا فيها ويقاوموا المسلمين . فانسحبوا الى الحديقة واعتصموا بها . ويظهر ان المحكم لم يتمكن من الوصول اليها لان عبد الرحمن بن أبي بكر رماه بسهم فقتله

الصفحة الثالثة

جرى القتال في هذه الصفحة حول الحديقة ، والحديقة تشمل بساتين القرية المسورة بالجدران -- وهذه البساتين كثيرة في قرى اليمامة والكثير من قرى العارض والوشم والقصيم والسدير له بساتين فبساتين القرية على مايترآى لنا واقعة في بطن الوادى ، ولا يعقل ان تكون على صدفه لصعوبة استقاء الماء لاروائها لان الآبار على مانعلم في بطن الوادي تنصرف اليها الامطار .

ويذكر المستر فيلبى عندما يبحث في الجبيلة انها واقعة على الضفة اليمنى من الوادي ، وان قبور الصحابة الذين قتلوا فى عقرباء موجودة في الضفة المقابلة لقرية الجبيلة وعلى مسافة ربع ميل منها وهذا مما يدل على ان الحديقة واقعة في الوادي

تحيط بها الجدران المبنية بالحجر والطين وعلوها ، اكثر من قامة كما هو شأن الجدران التى تحيط بالبساتين عندنا .

ولبى الحنفيون نداء المحكم فهجروا ميدان القتال تاركين قتلاهم فيه لدخول الحديقة واعتصموا بها مؤملين المقاومة فيها وطارد المسلمون بنى حنيفة الى الحديقة فأحاطوا بها وتوقفوا مدة من الزمن مترددين . وكان إلتجاء الحنفيين الي الحديقة وبالا عليهم .

ويظهر من أخبار الرواة ان مسيلمة قتل في أثناء الهزيمة الى الحديقة برمية حربة . وقد أدعى عدة أناس قتله . وكل فرقة من فرق المسلمين ارادت الأشتراك في قتله . وكان للحديقة باب أغلقه المنهزمون بعد ان دخلوها وقرروا المقاومة فيها الى اللحظة الاخيرة

وبعد ان تريث المسلمون ردحا من الزمن ، مترددين فيما يفعلون صرخ فيهم البراء بن مالك قائلا : « احملونى على الجدار حتى تطرحونى عليه » فساعدوه على التسلق ، ومع ان رواية ابن اسحاق تزعم ان البراء وحده تسلق الجدار فأقتحم الحديقة فقاتل الحنفيين على الباب حتى فتحه للمسلمين

إلا اننا نجزم أن رجالا آخرين تسلقوا معه الجدار وكان بعضهم على الباب وبعد أن دخل المسلمون الحديقة أوقعوا بالحنفيين ايقاعا ذريعا وكانت مذبحة لم يشهد المسلمون مثلها وقد سموها حديقة الموت ومع أن روايات الطبري جميعا تروى ان المسلمين قتلوا جميع الحنفيين في الحديقة ، ألا ان راوية ينقلها ابن حبيش تزعم أن بعض الحنفيين فر من الحديقة بعد أن دخلها المسلمون

وفي رواية يذكرها ابن حبيش والبلاذرى أن نساء المسلمين أيضا اشتركن في المعركة . ولقد كسب المسلمون المعركة بعد أن حاربوا من الصباح الى العصر ، ولم يعلموا بهول المصيبة الا بعد أن توقفت رحي القتال وراحوا يكشفون عن القتلى في الميدان

وفي رواية عن ابى سعيد الخدرى الذي اشترك في القتال أن خالدا أمر السقاة بعد صلاة العصر أن يسقوا الجرحي ، وكان ابو عقيل بين الجرحي فيه خمسة عشر جرحا . أما بشر بن عبد الله فكانت أمعاؤه خارجه من بطنه. وكل هذا يدل على شدة القتال .

يبالغ المؤرخون في تقدير خسائر الحنفيين . فسيف ابن عمر مثلا يزعم ان قتلى بني حنيفة بلغوا عشرة آلاف في المعركة وفي القتال في حديقة الموت. وفي رواية أخرى يزعم ان عدد قتلى بنى حنيفة واحدا وعشرين ألفا ، سبعة آلاف منهم فى المعركة وسبعة آلاف فى حديقة الموت وسبعة آلاف في المطاردة

ولكننا نستبعد هذا العدد ، اذ سبق ان ذكرنا ان قوة الحنفيين في معركة عقرباء بلغت عشرة آلاف مقاتل والثابت ان بنى حنيفة كابدوا خسائر فادحة سواء في ميدان المعركة لثباتهم في محلهم ، ام فى الحديقة لانهم بألتجائهم اليها مكنوا المسلمين من أن يقطعوا عليهم خط الانسحاب فقضوا عليهم القضاء المبرم .

ولعل عدد قتلاهم بلغ اكثر من ثلاثة آلاف . ومما يدل على كثرة القتلى فى بني حنيفة اندثار اسمهم بعد هذه المعركة وعدم اشتراكهم في الفتوح . ويقول البرنس كايتاني

في كتابه الآنف الذكر « ان محدثي المسلمين يبالغون في ذكر خسائر بني حنيفة فانهم يذكرون ان كل ذكر بلغ من الرشد قتل في المعركة ومع ذلك فان أحد الادلة التي تدل على أن الحنفيين كابدوا خسائر لا تتناسب مع عددهم هو أن هذه القبيلة التي كانت قبل الاسلام كثيرة النفوس مرفهة العيش ان لم يكن لديها شيء فان كثرة عددها وحده يجب أن يجعلها ذات حصة كبيرة في المعارك التي نشبت بعد ذلك ولكننا نري أن ذكر هذه القبيله يكاد يندرس تماما من تاريخ الاسلام وأن اسم الحنفيين لا يذكر على الاطلاق حتي على انفراد

أما خسائر المسلمين فكانت كثيرة بالنسبة الى عددهم أو مقدار الخسائر التى كابدوها في المعارك السابقة . فالروايات في عدد قتلى المسلمين مختلفة فهي متفاوتة بين ٥٠٠ و١٧٠٠ ويروى عيسى بن سهل عن جده رافع أن قتلي المسلمين بلغ عددها نصف قتلى الحنفيين وأن الانصار وحدهم (وكان عددهم خمسمائة مقاتل) خسروا سبعين قتيلا ومائتى جريح ، أما أبو سعيد الخدري فيزعم أن عدد قتلى الانصار بلغ سبعين

ويقول زيد بن طلحة أن قتلى المهاجرين بلغوا السبعين وقتلى الانصار بلغوا السبعين أيضا وأن مجموع قتلى باقي المسلمين بلغ الخمسمائة .

أما سالم بن عبد الله بن عمر فيذكر أن مجموع قتلى المسلمين بلغ الستمائة وأما البلاذرى فيقول (وقد اختلفوا في عدة من استشهد في اليمامة فأقل ماذكروه من مبلغها سبعمائة وأكثر ذلك ألف وسبعمائة وقال بعضهم ان عدتهم الف ومائتان والذى يلوح لنا أن هذا العدد الاخير هو الاصح وهو يؤيد الرواية التى يرويها الطبرى نقلا عن سهل إذ يقول (قتل من المهاجرين والانصار من أهل قصبة المدينة يومئذ ثلاثمائة وستون ومن المهاجرين من أهل المدينة والتابعين باحسان ثلاثمائة من هؤلاء وثلاثمائة من هؤلاء ستمائة أو يزيدون)

وذكر المؤرخون أسماء الشهداء من المهاجرين والانصار ونظموا قائمات بذلك ويتضح من مطالعتها أن بين القتلى زيد ابن الخطاب قائد القلب وأبا حذيفة بن عتبة قائد الميمنة وشجاع بن وهب قائد الميسرة وقيس بن ثابت قائد الانصار ويدل كل ذلك على شدة القتال في المعركة .

يقول ضرار بن الازور في يوم اليمامة :

ولو سئلت عنا جنوب لاخبرت
عشيـة سالت عقرباء وملهم
وسال بفرع الواد حتى ترقرقت
حجارته فيها من القوم بالدم

بعد المعركة

بدأت المعركة صباحا على ما ذكرناه فيما تقدم وانتهت عصرا ولم يبق وقت للمطاردة . وقد انهك التعب قوي المسلمين واضاعوا خيرة رجالهم، واستشهد اكثر حفظة القرآن لذلك نجزم ان المسلمين قضوا ليلتهم في جوار الحديقة للترويح عن انفسهم من عناء الحرب ، تأهبا للمطاردة في اليوم التالى. ومع ان نتيجة المعركة كانت فاصلة لم تزل ارياف اليمامة فى الخلف (وفيهـا المؤن والذخائر والقسم الذى لم يشترك فى القتال من بنى حنيفة) ، والقري في الارياف جميعـا منيعة وفيها الحصون والابراج .

ويذكر الطبرى نقلا عن سيف بن عمر ان عبدالله

بن عمرو عبد الرحمن بن ابي بكر طلبا من خالد ان ينزل بالناس على الحصون وكانا يقصدان بذلك الايتركا مجالا للبقية الباقية من بني حنيفة لتستعد للمقاومة . اما خالد فلم يشأ محاصرة الحصون ، بل رجح ان يوفد سرايا الخيـاله الى الاطراف لتلتقط من ليس في الحصون وكان يعلم ان منازلة الحصون تكبد المسلمين ولا سيما انهم اطلعوا على كبر المصيبة بعد أن تفقدوا القتلى . وكان من رأيه ان يلقي الرعب في قلوب بني حنيفة ويدهشهم بسرايا الخيالة التي تتجول في حيهم وتقبض على كل من تلقاه . وشأنه في ذلك شأن القواد الذين لايريدون ان يضيعوا الوقت في الحصار ، ويتركوا فلول اعدائهم يفلتون من يدهم .

ولقد اصاب خالد في رأيه ، لان سرايا الخيالة أصابت فحوت ماوجدت من مال ورجال ونساء وصبيان فضمها الى الغنائم في المعسكر .

الصلح

أثبت خالد في عقده الصلح مع أهل اليمامة انه سياسي

حازم بقدر ما كان قائدا محنكا

انتهت المعركة وقد خسر المسلمون خيرة رجالهم من الصحابة أما القبائل فقد قتل منها رجال كثير فالعراك من الصباح الي العصر بتلك الشدة والمقاومة التى أبداها الحنفيون مما زاد في حنق المسلمين عليهم وكانت القبائل تريد غنما توازى التضحية التي تحملتهـا . أما الصحابة فأقل ماأرادوه العمل بوصية الخليفة وهي «ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان — والداعية الآذان — فاذا آذن المسلمون فأذنوا ، كفوا عنهم ، وان لم يؤذنوا عجلوهم ، وان آذنوا اسألوهم ماعليهم ، فان أبوا عاجلوهم ، وان أقروا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم »

فبنو حنيفة لم يجيبوا الداعية ، بل قاتلوا المسلمين وقتلوا نخبة الصحابة وقضوا علي حفظة القرآن . فكان عقابهم القتل عملا بوصية الخليفة فالروايات جميعا تدل على ان الانصار والمهاجرين كانوا يلحون على خالد بمعاملة بنى حنيفة بصرامة أما خالد بن الوليد فنظر في الصعوبات التي لقيها فى التغلب على الحنفيين وتأمل عاقبة الشدة التي يظهرها نحوهم ان هم

أبوا وقاوموا في حصونهم فامتنعوا بها وقد دلت المعركة على انهم متفانون في التضحية ولا بد من أنه يعلم أن حربا من الحنفيين وعلى رأسه سليمة بن عمير يريد المقاومة حتي الموت . لذلك لم يتردد قط لما عرض مجاعة بن مرارة توسطه لعقد الصلح كان هذا أسيراً عند المسلمين وقد احتفظ به خالد ليستفيد منه . وكانت الشروط التي فرضها على مجاعة ثقيلة وهي تتلخص في أن يعطى الحنفيون كل ذهبهم وفضتهم وسلاحهم وخيلهم وأن يسبي جميع الاسري .

حمل مجاعة هذه الشروط وهو يضمر الخير لبنى قومه ويريد أن يخفف حملهم بعد أن أصابهم ما أصابهم ، لذلك أقام النساء والشيوخ على الحصون ليحمل المسلمين علي الاعتقاد انهم يريدون الدفاع عن حصونهم . فرجع مجاعة وأخبر أن القوم لا يقبلون هذه الشروط الثقيلة وانهم عازمون على الدفاع حتي الموت . وبعد ذهاب وجيئة استطاع مجاعة أن يستميل الحزب المخالف الى جانبه من جهة ، وان يخفف من شدة الشروط من جهة اخرى

والوقع ان خالدا أيضا كان راغبا في الصلح دون ان يلجأ

الى القتال . وهذا مادعاه الي ان يخفف الشروط . فتعهده مع بنى حنيفة ينص على ان يسلموا الذهب والفضة ونصف السبي والسلاح والخيل ، وان يأخذ هو كل قرية ومزرعة وحائط (حديقة مسورة) باسم بيت المال ، وإن يسلموا أنفسهم حتى يسلموا ، اما البلاذري فيروى ان المعاهدة فرضت على بنى حنيفة ربع السبي ونصف الذهب والفضة والسلاح .

ولعل هذه الرواية هى الصحيحة لأنها تدل على تساهل خالد فى عقد الصلح . ويذكر الطبرى ان أبا بكر أرسل كتابا الي خالد مع سلامة بن وقش يأمره إن أظفره الله بأن يقتل من جرت عليه المواشى من بنى حنيفة — يريد بذلك ان يقتل من قاوم من الحنفيين — فوصل الرسول بالكتاب بعد عقد المعاهدة . فأراد الانصار ان يستغلوا أمر الخليفة ، فطلبوا الى خالد ان ينفذ ماجاء فى الكتاب ، وكان أسيد بن حضير رئيس الأوس على رأسهم . إلا ان خالدا لم يلتفت اليهم ، بل وفى لبنى حنيفة وثبت على ما كان منه فجمع بنى حنيفة الى البيعة والبراءة .

ويذكر ابن حبيش الاسباب التى ألجأت خالدا الي عقد

الصلح ومخالفته كتاب الخليفة ، وهي تتلخص في كثرة الخسائر التي انتابت المسلمين في المعركة ، إذ قل عدد المسلمين وكان أكثرهم جريحا . وبعد عقد المعاهدة لا يجوز النكول عنها ، ولاسيما ان بني حنيفة أسلموا . وتنقل الرواية ان سلامة بن وقش أيضا أصر على خالد بتنفيذ أوامر الخليفة . غير ان خالدا لم يغير رأيه وأعتبر القضية منتهية .

ومع ذلك استعمل خالد الشدة في معاملته أهل العارض وبعض قرى بني حنيفة . فقرية سيوح وعرفة والغبراء وقيشان ومرعة والمصانع اعتبرت في خارج أحكام المعاهدة ، فسبى أهلها وصادر أملاكها . والروايات لا تبحث في أسباب هذه الشدة ، غير انه يلوح لنا أن أهل هذه القرى أما انهم حاولوا الاخلال بشروط الصلح ، واما انهم قتلوا المسلمين غدرا ، وإما انهم مثلوا بالمسلمين في بلاد اليمامة قبل الحركات .

المناقب

يستنتج الباحث من حركات اليمامة بعض المناقب التي

ينبغي الوقوف عليها ، وهي تدل على سجايا العرب الاولين مسلميهم ومرتديهم ، وتوضح لنا بعض المزايا الكامنة التي مكنت العرب من الانتصار على أعدائهم في الشرق وفي الغرب .

المنقبة الاولى - : التضحية

كان ابن عمر عبد الله وأخوه زيد بن الخطاب في الجيش الذي قاتل في عقرباء . وكان زيد على ما نعلم يقود القلب ، وقد استشهد في المعركة مشجعا المسلمين ومدافعا عن رايتهم .

ويذكر الطبري أن عبد الله بن عمر لما رجع إلى المدينة قال له أبوه : (ألا هلكت قبل زيد ، هلك زيد وأنت حي)

فأجاب ابنه قائلا (قد حرصت على ذلك أن يكون ولكن نفسي تأخرت فأكرمه الله بالشهادة).

وفي رواية أخري قال عمر لابنه (ما جاءبك وقد هلك زيد ؟ ألا واريت وجهك عني؟) فأجاب عبد الله (سأل الله الشهادة فأعطيها وجهدت أن تساق إلي فلم أعطها)

والتضحية كلمة مرادفة للبطولة وهي من أخطر العوامل في حضارة الامم إن لم تكن أخطرها ولا أغالي إذا قلت أن تاريخ الحضارة مكتوب بمداد هو دماء الابطال المراقة ومساعيهم المبذولة من أجل بنيان صرح التمدين البازخ بجميع أركانه الادبية والعلمية والسياسية ولولا التضحية لما خرج الانسان الاول من الغاب والكهف الى المدينة والقصر. والعرب لولا بطولتهم في تضحيتهم لما تربعوا في قصور بغداد والشام والقاهرة والحمراء، ولظلوا تائهين في مجاهل باديتهم القاحلة الجرداء، ولخنق الاسلام في مهده. فالتضحية رفعت عمد الاديان ونشرت ألوية العلوم، ووضعت أسس الدولة قديمها وحديثها، وسمت بأبنائها إلي أوج العز والسؤدد، وقمة المجد والصوله. أجل إن العرب من الامم الفاتحة المفطورة على البطولة والتضحية، إلا أن نبيهم العظيم جاءهم برسالة وضع بها نصب أعينهم مثلا أعلى هو ايمانهم الوطيد، فبرزت نفوسهم إلي ذلك المثل الاعلى على حد تعبير علماء النفس، وحصروا وجدانهم في ايمانهم القوى فضلا عن دافع غيرتهم على أحسابهم. وقوة ذلك الايمان زادتهم اقداما

مع التضحية التى تجلت بأروع مجاليها في حروبها ، ولا سيما في حروب خالد بن الوليد ، ومنها حروب الردة التى نحن بصددها . فهذا عبد الله بن عمر أنبه أبوه لانه رجع حيا دون أن يستشهد في الذود عن ايمانه أو مثله الاعلى ولا تزال روح التضحية متغلغلة في نفوس العرب والاعراب حتى اليوم

وما أكثر الروايات المنقولة عن رجال العرب ونسائهم من ميادين القتال في التضحية العربية المجيدة في ثوراتهم الاخيرة في الاقطار العربية دونها ما يروي عن رجال اسبرطه ونسائها بهذا الصدد .

يروى عن امرأة عربية عراقية أنها كانت تشجع أبناءها السبعة في إبان الثورة العراقية في سنة ١٩٢٠ ، وكانت كلما سقط أحد أبنائها في حومة الشرف تنشد قائلة : (ياموت إطحن وأنا أهلك) - أي يارحي الموت اطحنى الرجال وأنا أقدم اليك أبنائي !

المنقبة الثانية - السياسة .

كان مجاعة بن مرارة من رؤساء بني حنيفة ، وقد وفد علي

الرسول وأسلم فأقطعه أرضا ، فلما ثار مسيلمه ببني حنيفه وأدعى النبوة كان مجاعة معه . ويلوح لنا أنه كان يداري مسيلمة من جهة ويراقب حركات جيش خالد من جهة أخري فلما وثق بتقدم جيش خالد نحو اليمامة استفاد من الشغب المثار على مسيلمة ، فخرج مع بعض رجاله من اليمامة طالبا الثأر من بني عامر وبني تميم ولعل طلب الثأر كان حجة لخروجه من اليمامة قبل وصول جيش المسلمين اليها . ولما باغتته طليعة المسلمين في ثنية اليمامه استحياه خالد لعلمه أنه ينفعه في قتاله في اليمامه وحبسه عنده كالرهينة وتركه في فسطاط قيد مراقبة زوجه أم تميم . فلما تغلب الحنفيون على المسلمين وأزاحوهم عن المعسكر دخلوا الفسطاط وهموا بقتل أم تميم فمنعهم مجاعه من ذلك صارخا في وجوههم « مه ! أنا جارلها فنعمت الحرة ! عليكم بالرجال ! »

وفي رواية أن مجاعة عاهد أم تميم على أن يساعدها اذا انتصر الحنفيون على المسلمين ، وعلى أن تساعده هي بدورها إذا انتصر المسلمون علي أهله . ولما انتهت المعركة عرض مجاعه الخدمة علي خالد وطلب إليه أن يتوسط في عقد

الصلح فقبل خالد ذلك وأوفده إلى بنى حنيفة حاملا شروط الصلح . وكان مجاعه قد علم بأن المسلمين كابدوا خسائر فادحه ، وأن الحرب أنهكت قواهم ، لانه تفقد مع خالد ميدان الممركة وأطلعه على قتلى الحنفيين ، وهو الذى دلهم على جثه المحكم بن الطفيل وجثة مسيلمه :

ولا شك أنه تأكد شدة مصاب المسلمين فلما ذهب بمهمته تيقن شدة الشروط التى فرضها خالد على بنى قومه فأراد أن يخدمهم خدمة يخلص بها قومه من هذه الشروط القاسية ويمهد السبيل لاستلانه جانب خالد . وفي مثل هذا الموقف دبر حيلة أثبت بها دهاءه وكانت الحيلة التى دبرها — كما يرويها الرواة — تتخلص فيما يلي : « دخل مجاعة الحصون وليس فيها الا النساء والصبيان ومشيخة فانيه ورجال ضعفاء فظاهر الحديد على النساء — أى ألبسهن الدروع وسلحهن وأمرهن أن ينشرن شعورهن ويشرفن على رؤوس الحصون الي أن يرجع اليهن » وبذلك أراد أن يظهر لخالد أن القوم لا يزالون في حصونهم متأهبين للدفاع لكي يحمله على تخفيف الشروط . فلما عاد قال لخالد (إن القوم قد أبوا أن يجيزوا

ماصالحتك عليه، ولكن إن شئت صنعت شيئا فعرضت على القوم ، يريد بذلك أن يخفف خالد من شروط الصلح .

وحدق المسلمون من بعيد إلى الحصون فرأو عليها الناس ظانين أن بنى حنيفة يحتلوها وأنهم عازمون على الدفاع .

ولقى مجاعة صعوبة في حمل المخالفين من بنى حنيفة على قبول شروط الصلح . وكان سامه بن عمير يقول لبني حنيفة (قاتلوا عن احسابكم ولا تصالحوا على شيء) . أما مجاعة فيقول لهم : (يابنى حنيفة أطيعونى وأعصوا سلمة فأنه رجل مشئوم قبل ان يصيبكم شرحبيل بن مسيلمة ، قبل ان تستردف النساء غير رضيات وينكحن غير حظيات) .

والرواية تقول إن بنى حنيفة أطاعوا مجاعة وعصوا سلمة .

وكان من أمر حيلته أن أقنع خالدا بأن يخفف شروط الصلح :

ففرض الربع من السبى والنصف من الذهب والفضة والسلاح والخيل بعد ما كان قد طلب ان يعطوه كل ذلك .

فلما فرغ من الصلح ، وفتحت الحصون أبوابها اذا هو

لم يجد فيها الا النساء والصبيان . فقال خالد لمجاعة « ويحك خدعتني » فقال مجاعة « قومي ، ولم أستطع الاماصنعت »

لم يسق مجاعة توجعه لقومه ولا استهواه حب الانتقام فطاش حتى يدع بني جلدته يلقون أنفسهم في مهاوي الهلاك بل كان مخلصا في قضيته ، وعمد مجاعة الى الحيلة الواسعة فصان بقية قومه من أشراك الهلاك ، وخفف عنهم وطأة الانكسار الهائل فكان في تلك السياسة مصلحة بني حنيفة .

المنقبة الثالثة – العصبية القومية

كان سلمة بن عمير يشجع الناس علي المقاومة ، وقد رأى من الذل أن يتحكم المسلمون في بني قومه بعد أن قاتلوا قتال الابطال منعا لحوزتهم ودفاعا عن نساءهم . وكان يرى الموت ولا يرى النساء تستردف غير رضيات وينكحن غير حظيات . وقد قتل مسيلمة وابنه شرحبيل وصرع محكم اليمامة ابن طفيل .

أبعد كل هذا يرضي بالهوان ؟ بل الموت أهون دون التسليم بالشروط التى يشترطها خالد. فيصرخ في أصحابه :

«قاتلوا عن أحسابكم ولا تصالحوا على شيء» ثم يعود فيشجعهم على المقاومة قائلا «فان الحصن حصين والطعام كثير وقد حضر الشتاء» لقد قارن بنو حنيفة بين ماقاله سلمة وماقاله مجاعة ورأوا أن لاقبل لهم بالمسلمين، فلم يروا بدا من التسليم بشروط الصلح ولا سيما ان مجاعة دبر الحيلة ليموه على المسلمين بقوة الحنفيين للدفاع ويخفف من وطأة الصلح. فلم يحفل سلمة بكل ذلك، بل أضمر سوءا لخالد ولم يحتمل إهانة الغلبة لقومه فأجمع على أن يفتك به. ولما حشر بنو حنيفة الى البيعة والبراءة طلب سلمة من مجاعة أن يستأذن له في الدخول على خالد ليكلمه في حاجة له. فأقبل سلمة مع بنى قومه مخبئا سيفه تحت العباءة، فلما رآه خالد لم يقبله ولعله كان يعلم كرهه له فأخرجوه عنه وفتشوه فوجدوا معه السيف فثار ثائر الحنفيين فأخذوا في سبه ولعنه صارخين فى وجهه أتريد أن تهلك قومك وتستأصل بني حنيفة وتسبى الذرية والنساء؟ فأوثقوه ووضعوه في الحصن. غير ان سلمة أقسم أن يثأر لبنى قومه: لذلك يعاهدهم على أن لايحدث حدثا فيعفون عنه فلم يصدقوه ولم يقبلوا منه عهدا. أعيته الحيلة ولم يريدا

من الافلات ليفتك بخالد مهما كلفه الامر

فيهرب من الحصن ليلا وبعد إلي معسكر خالد ويصيح في وجه الحرس فيفزع بنو حنيفة فيتبعونه حتى يدركوه في احدى الحدائق المسورة فيقاومهم بالسيف فيكتنفوه بالحجارة فيري أن جميع الابواب موصده في وجهه وانه غير قاتل خالدا، فالاولي أن ينتحر ولا يرى المسلمين يسبون الذراري فيضرب نفسه بالسيف ويسقط في البئر فيموت .

مبادىء خالد الحربية

تنم الحركات التى قام بها خالد في قتاله أهل الردة على المبادىء الحربية التى نهجها . وفي هـذه المبادىء أسس لاتختلف كثيرا عن الاسس التي أتخذها القواد العظام وأصبحت من المباديء الحربية الخالدة . نذكر فيما يلى بعض تلك الاسس :

أولا : التوفيق بين القيادة والسياسـة . يبدو لنا من الخطط التي وضعها خالد للحركات على طليحه بن خويلد ومسيلمة الكذاب والتدابير التي اتخذها بعد الانتصار أن

خالدا من القواد الذين وقفوا دائما بين القياده والسياسة .
وأصبح هذا الاس في عصرنا من أخطر عوامل الظفر .
ويقينا ان من أكبر العوامل التي حالت دون استمار الانتصارات الباهرة التي أحرزها نابليون في حروبه على الحلفاء وعدم توفيقه بين السياسة والقيادة . وكذلك من العوامل التي أدت إلى خيبة الالمان فى الحرب العامة ، نظر قادتهم الى الامور من الوجهة الحزبية فقط وعدم توفيقهم بين السياسة والقيادة .

فنرى خالد بن الوليد في الخطة التي وضعها للحركات على طليحه بن خويلد أنه وفق بين السياسة والقيادة فلم يقدم جيشه الى بذاخة إلا بعد أن مهد له سبيل الانتصار بجلب قبائل طىء الى جانبه وفصل الفرقتين : جديلة وغوث عن بنى أسد . والاستفادة فعلا من القوة التي أمدت قبائل طيء بها جيش المسلمين .

وبعد انتصاره في بزاخة نراه يفرض على القبائل تقديم عدد معين من السلاح وفي ذلك تعزيز لجيشه وإضعاف لشأن خصمه .

وقبل أن يتقدم بجيشه نحو اليمامة يسعى قبل كل شيء لاستمالة التميميين الذين التجأوا إلى مسيلمة وأخرج جماعة سجاح من ميدان العمل - ولما ظفر ببنى حنيفة لم يتردد في عقد الصلح معهم على أساس التساجل برغم مخالفة رؤساء الانصار والمهاجرين له ودون أن يعمل بأمر الخليفة الصريح وقد ذكرنا مجمل الاسباب التى ألجأت خالدا الي ذلك. ولخالد مواقف تدل على استعماله الشدة واللين تبعا لمقتضى الحال.

ثانيا — الاستطلاع : لقد عني خالد بالاستطلاع في جميع حركاته. وقبل تقدمه نحو بزاخة يوفد قوة استطلاع بقيادة عكاشة بن محسن وثابت ابن أقرم. وفي حركاته على بنى تميم يوفد أمامه السرايا للتجسس والاستطلاع. أما في حركات اليمامة فيرسل مكنف بن زيد الخيل وأخاه ليلتقطا الاخبار. وكان في جميع حركاته على اتصال مستمر بالخصم الذي يريد أن يضرب به للاطلاع على شؤونه والقيام بالحركة في الوقت الملائم.

ثالثا — المطاردة : من الاسس التى اعتمدها خالد في حركاته القيام بالمطاردة بعد المعركة. وقد يختلف في اسلوب

مطاردته عن الاسلوب الشائع الان ، وهو يتطلب سوق أقصى قوة في اليد لتقطع خط الاتصال على العدو المنسحب أما خالد فكان يوفد السرايا في اتجاهات مختلفة للتفتيش عن العدو المنهزم والقضاء عليه أينما وجدته . فالعدو بعد انكساره ينسحب الي محل معين كما هو شأنه اليوم ، وذلك لان الحياة في البادية تساعد المنهزمين علي الالتجاء الي أحياء مختلفة . هكذا كان عمله بعد معركة عقرباء . فلم يشأ أن ينازل الحصون بل أوفد السرايا لتلتقط من كان خارج الحصون .

رابعا — الابداع : لم يتأخر خالد لحظة في استعمال ابداعه الذاتي حين تطلب الموقف ذلك . وهو يشذ عن الاوامر الصادرة اليه متى رأى الفرصة سانحة للعمل بمخالفة الاوامر فتراه بعد أن انهي أمر بنى أسد في بزاخه وأطلع على أحوال بني تميم وتأكد أن الفرصة سانحة للتقدم أمر جيشه بالحركة برغم الاوامر الصادرة اليه والقاضية بألا يتقدم من محل الى محل آخر قبل أن يتلقي أمر الخليفة فالانصار يذكرونه بأمر الخليفة الصريح إلا أن خالد يقول لهم انه هو

الامير واليه تنتهى الاخبار وإن لم يأته أمر من الخليفة لا يريد أن يضيع الفرصة مادام مالك بن نويره حياله وبطون بنى تميم نافرة منه .

خامسا — التنظيم : اتضح لنا من حركات خالد أنه ينظم جيشه ويقسمه الي أقسـام ويعين لكل قسم قائدا ويعرض الجيش بنفسه قبل أن يتحرك . ففي ذى القصة ينظم جيشه قبل الحركة، وفي البطاح ينظمه ويعين لكل قسم منه قائدا وقبل القتال يجعل على كل قسم من نظام القتال قائدا خاصا وبعد انكسار المسلمين في عقرباء ودخول الاعداء الفسطاط يغير خالد تعبئة الجيش فيضع أهل القري في جانب وأهل البادية فى جانب آخر للاسباب التى سبق ذكرها

سادسا — حشد القوات : رأينا خالدا في جميع حركاته يحشد جميع قواته قبل المعركة ولا يشتتها . فيسير على طريق واحد ويسير به نحو الهـدف دون أن يضعفه بفرز بعض القوات منه لمقاصد أخري ، وكان يفرز قوة من جيشه ويوفدها الى الامام مقدمة بقصد الأمن والاستطلاع ، وأحيانا يقيم له ردءا في الخلف ليحمى خط الانسحاب .

وكانت المقـدمة دائما تشترك في المعركة مع السكوكب (القسم الاكبر)

سابعا — التعرض . لقد اتخذ خالد فى جميع حركاته خطة الهجوم . ففى بزاخة يهجم بجيم قواته على قوات طليحة بن خويلد ، وفي عقرباء يتقدم نحو العدو ويهاجمه في بلاده وكان يتوخى الهدف ولا يحيد عنه قط . والهدف عنده هو محو العدو من سفر الوجود .

فهرس الكتاب

٤ مقدمة
٣٣ الدرس الخالد
٣٤ خالد القائد
٣٥ مصادر البحث
٣٩ دار الحركات
٤٤ اسباب الحرب
٤٧ قوات الفريقين
٥٢ المسلمون
٧٨ مباغتة المدينة
٨٣ تولية خالد بن الوليد قياده الجيش
٨٥ قوة الجيش
٨٦ منطقة الحركات
٩١ نسب القبائل
٩٢ الموقف قبل الحركات
٩٣ الحركات

٥٨ اسلوب القتال
٦٩ الحركات الاولية
٧٢ الشروع في العصيان
٧٥ المواقع التي جرى القتال فيها
٧٦ الربذة
٧٧ ذو القصة أو البقعاء
١١٧ الحركات في اليمامة
١١٩ منطقة الحركات
١٢٧ قوات الفريقين
١٢٩ قوة المسلمين
١٣٠ الموقف قبل الحركة
١٣٢ الطريق الذى سلكه خالد
١٣٣ معركة عقرباء
١٣٥ خطة خالد
١٣٧ ساحة القتال
١٣٩ وصف الموضع

١٤٤ الحركة في البطاح الى اليمامة
٩٥ خطة خالد بن الوليد
٩٩ الحركة
١٠٠ معركة بزاخة
١٠٣ القتال
١٠٧ القتال في ظفر —
١٠٩ تقدم مسير خالد نحو
١٤٨ المعركة
١٥١ صفحات القتال
١٦١ الخسائر
١٦٤ بعد المعركة
١٦٥ الصلح
١٦٩ المناقب
١٧٠ التضحية
١٧٢ السياسة
١٧٦ العصبية القومية
١٧٨ مبادىء خالد الحربية